

دكتور عبد الحليم عوليس

المسامحة في معركة البقاء



دار الصحوة للنشر والتوزيع - القاهرة

ت : ٩٨٧٩٢٤

٧ شارع السراى بالمنيل

ت : ٦٨٨٠٧١

حندائق حلوان - مدينة الهدى

قضية هذا الكتاب

الحمد لله الذى لا يحمد على مكروه سواه . .

وقد تألبت علينا المكاره ، ومع ذلك ، فسنظل نقدم بين يدي
كل مكرهه حمداً . . ومع كل مكرمة شكراً . . !!
وما أصابنا من سيئات فنن أنفسنا . .

وحتى أكثر حكامنا هؤلاء . . الذين يبدوون أسوأ ما يكونون
طائفية وانتهازية ومادية وسوء تقدير وقصر نظر . . حتى هؤلاء
البؤساء ليسوا إلا ثمرة من ثمار مجتمعاتنا الفاسدة ، ونفوسنا الممزقة .
وقد نبتوا كما ينبت الشوك من الشوك ، وكما يخرج الولد الفاسد
من البيت الفاسد ، وبالتالي فهم ليسوا إلا حصاد مسيرتنا . .
نحن الشعوب الإسلامية التى تباعد ما بينها وبين حقيقة دينها
بعد ما بين الأسود والأبيض .

فلنحمد الله الذى لا يحمد على مكروه سواه ، ولنرفع إليه
رجاء الأذلاء ألا يسلط علينا بذنوبنا من لا يخافه ولا يرحمنا . .
وأن يرفع عنا مقته وغضبه !!

وهذه الدراسة حصاد عامين . . ثقلبت فيهما من بلد إلى بلد في مؤتمر أو ندوة . وراقبت فيهما عن كثب ، عن طريق اللقاءات المباشرة ، والتقارير الوثيقة ، أحوال هذا العالم الإسلامي الذي يبدو الآن ، وفي دورة أخرى من التاريخ ، وكأنه عاد ليكون « قصعة » يقتسمه فيها ، في هذه المرة ، أمريكا ذات السياسة التفاوضية المخردة من كل المعاني الأخلاقية والالتزامات الإنسانية والرؤية الحضارية ، وروسيا ذات السياسة الوحشية الدموية القاصرة !!

وبين مخلي المادية الأمريكية والروسية تقع القصعة الإسلامية التي يتداعون إليها ، ويرضون أطرافاً من هنا ومن هناك على حسابها . . فثمة لقيات لليهود ، وثمة لقيات للهندوس . . أما العم سام فهو الجشع النهم الذي يريد ابتلاع معظم القصعة . . بعد أن يعطي لإخوانه الشيوعيين جزءاً يسيراً .

إن أمريكا التي تفرسها الأمراض الحضارية من الداخل . . أمريكا التي كادت أكبر مدنها نيويورك تهوى أمام ضربات « المسافيا » وقطاع الطرق واللصوص ، عندما انقطع التيار الكهربائي لليلة واحدة . . أمريكا هذه ومن ورائها أوربا التي أباحت الشذوذ الجنسي والحياة الزوجية — بحكم القانون — وسادتها موجات السكر والعريضة وأصبحت وكأنها برميل من بارود يوشك أن يتفجر في أية لحظة .

أمريكا ومن ورائها الفاتيكان . . التي يحيط بها سياج من الشيوعيين في الحزب الإيطالي الشيوعي القوي . . فضلاً عن ظاهرتي

الليصوصية والعهر اليمين أصبحتا سمة إيطاليا ، وبات السائحون
يتأون بأموالهم وأعراضهم عن الذهاب إليها . .

أمريكا هذه لا عمل لها الآن ، وبعد الوفاق الدولي مع الشيوعية ،
إلا تطويق العالم الإسلامي ، ومحاولة تصفية المسلمين جسدياً .
سواء في آسيا أو أفريقيا ، أو غيرها .

وتستطيع أن تتبع أية تصفية دموية للمسلمين في الأرض سواء
وقف وراءها الشيوعيون ظاهرياً . . أو المبشرون . . وسوف
تجد هناك أمريكا . . تحمي النظام الشيوعي من الانهيار تارة ،
وتحمي إسرائيل تارة أخرى ، وتحمي المبشرين — بالملايين
والمعلومات — تارة ثالثة !!

والغريب كل الغرابة أن أمريكا هذه تتشدد بحقوق الإنسان
في الاتحاد السوفيتي . . وتثير بعض التمثيليات النفاقية حول هذا
الأمر ، مع أنها لم يبد منها في أى يوم أية لحة حتوق إنسان نحو
عشرات الملايين من المسلمين الذي يتعرضون — بأيديها السوداء —
لحملة إبادة ، أو حرب عالمية دولية . .

وعلى خطى مبادئ ولسون الأربع عشرة . . التي خدعت بها
أمريكا العالم ، وتواطأت من ورائها — على فرض الوصاية
الاستعمارية على العالم الإسلامي ، وعلى ضياع فلسطين ، وكانت
أمريكا أول من أعلن اعترافه ودعمه للدولة إسرائيل . . . دون

أن تذكر أن رئيسها ويلسون كان قد أخرج للعالم مسرحية المبادئ
الأربع عشرة المزيفة !!

أما روسيا ودورها في هذه اللعبة فليس أكثر من دور الشرطي
الذي يعمل بأجر . . لأنه في حاجة إلى الدولار والقمح . . ولأنه
مهدد باعتبارات كثيرة داخلية وخارجية !!

* * *

وأما أذئاب أمريكا وروسيا في العالم الإسلامي ممن ينتسبون
زوراً إلى الإسلام ، فلا ندرى ما نقول لهم سوى أن نتذكر
نحن المسلمين طبقة ملوك الطوائف . . ونقيس هؤلاء بأولئك
حذو النعل بالنعل . . ولئن كانت نهاية هؤلاء الملوك الطوائفيين
قد بلغت من السوء مبلغاً كبيراً . . لدرجة أن أحدهم وهو
(ابن صمادح) قال وهو يموت : « نغص علينا كل شيء حتى
الموت » . . لئن كانت نهايتهم كذلك . فإننا نحن المسلمين
مطالبون بأن نتجنب مصير الشعب الأندلسي المسلم الذي عقدت
له الكنيسة أبشع محاكم التفتيش . . وأجأته عبر البحر إلى بلاد
المغرب وغيرها . . ولعلنا نتساءل : إذا كان الأندلسيون قد
وجدوا ملجأهم في بلاد المغرب مثلاً فإلى من سنلجأ نحن إذا استولت
جحافل التبشير على بلادنا بدءاً من أندونيسيا ومروراً بالشرق
العربي وحتى طنجة بالمغرب ؟

هل سنلجأ إلى أمريكا . . أم إلى معتقلات سيربيا ؟ أم أن
العالم الغربي بشقيه الأمريكى والشيوعى لن يتركنا نعانى من هذه
المعضلة . . وسوف يقدم لنا الحل الوحيد باسم . . أعنى التنصيفية
الاجسدية أو الفكرية الشاملة !!

وإن ذلك - لا قدر الله - هو النتيجة الطبيعية لمسيرتنا المستسلمة
إلى البهلاء لحكام . . يوالون النصارى واليهود ، باسم الرأسمالية
أو الشيوعية أو الديمقراطية أو الاشتراكية أو الحلول السلمية ،
أو الاعتبارات الوطنية .

* * *

وإنه والله لإعجاز إلهى أن يوضح القرآن هذه القضية . . مقدمة
ومسيرة ونتيجة . . فيقول :

* « يأبها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم
أولياء بعض » .

« ومن يتوكلهم منهم فإنه منهم ، إن الله لا يهدى القوم الظالمين » .

* « فترى الذين فى قلوبهم مرض يسارعون فىهم ، يقولون نخشى
أن تصيبنا دائرة » .

« فعسى الله أن يأتى بالفتح أو أمر من عنده ، فيصلحوا على
ما أسروا فى أنفسهم نادمين » .

« ويقول الذين آمنوا أهولاء الذين أقسموا بالله جهداً أيانهم
إنهم لمحكم ، حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين » .

« يا أيها الذين آمنوا من يرد منكم عن دينه فسوف يأتي الله
بقوم يحبهم ويحبونه ، أذلة على المؤمنين ، أعزة على الكافرين
يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه
من يشاء والله واسع عليم » (١) .

* * *

إن قضية هذا الكتاب ، مهما اختلفت الموضوعات ، واحدة .
إنها قضية المسلمين التي برزت من خلال مسيرة الأحداث في
الأعوام الأخيرة . إنها الصراع المصيري مع الغزو التبشيري
الأمريكي والأوربي الشرس الذي يريد تطويق العالم الإسلامي ،
والاستيلاء على الأرض المقدسة بدءاً من المسجد الأقصى . . .
وانتهاءً بالمسجد الحرام . . . ثم تحويل العالم الإسلامي كله إلى مزرعة
للتبشير يفرخ فيها ويبيض وحده .

إنها معركة المسلمين في أفريقيا وآسيا وسائر العالم من أجل
البقاء !!

عبد الحليم عويس

الماحة الأولى

معركة التصفية الجسدية

(١)

الدم الإسلامي أرخص الدماء في الأرض

لو أن عقلا ألكثرونا من تلك العقول التي صنعتها
أمريكا ، أو رصيفتها على الطرف الآخر من محور
القوة « روسيا » .

لو أن عقلا من عقول هؤلاء أو أولئك توفروا على
إجراء إحصاء دقيق لتلك الملايين من الرعوس البشرية
التي انفصلت عن أجسادها في غير حرب وبلا ثمن . . .
ولتلك الدماء التي سالت وأهدرت باسم شعارات
(التقدمية) و (الثورية) و (الاشتراكية) و (القومية)
وغيرها من الشعارات . .

لو أن ذلك الإحصاء قد تم فعلا لألبت - بما لا يدع
مجالا للشك في - رأينا أن « الدم الإسلامي » هو أرخص
الدماء في الأرض ، خلال هذا القرن العشرين للميلاد
الرابع عشر للهجرة .

في آسيا ، وعلى تخوم الحدود الدائبة ، بين القوتين الثانية والثالثة
في العالم (روسيا والصين) يكاد يشم من له حس إسلامي روائح منبعثة ،
تدل على دماء زاد تعدادها على ثلاثين مليون مسلم . . هم العدد التقريبي
لضحايا الثورة الشيوعية . التي ابتلعت هذا الجزء الآسيوي من عالم
المسلمين .

وفي آسيا - أيضا - غير روسيا والصين ، أكثريات أبيد إسلامها ، وأقليات ذاب كيائها . . . وتعرضت هذه وتلك لأبشع أنواع المجازر . . .

وفي أفريقيا . . . حيث تعيش شعوب إسلامية لها أهميتها - سلط على الدم الإسلامي « ثوريون » و « تقدميون » نصبوا للأعناق الإسلامية آلاف المشانق . . . وحفروا (للدم الإسلامي) مئات القنوات . . . واستوردوا (للجد) المسلم أبشع وسائل التعذيب . وللعقل المسلم أسوأ أساليب القهر ، وللنفس المسلمة أرقأ أنواع الحروب النفسية !!

إن قضية « الدم الإسلامي » الذي أهدر رخيصة ، وتواطأ العالم كله على إهداره ، دون أن يرفع أحد في هذا العالم عقيرته بما يسمى « بحقوق الإنسان » .

... هذا (الدم الرخيص) يحتاج إلى دراسة مستقلة وافية . . . تدين حضارة هذا العصر الذي يدعى أبنائه التقدمية والحرية والعقائدية . . . وحقوق (الحيوان) !!

* * *

ونبدأ حديثنا بتلك الكارثة التي حدثت منذ أقل من خمس وثلاثين سنة ، وأبادت شعوبا إسلامية كاملة تصل إلى ثمانية شعوب ، كان لها رصيدها من حضارة الإسلام ودورها في تاريخه ، وقد قدمت للفكر الإسلامي عباقرة وأفذاذا أدهشوا العالم على امتداد العصر الإسلامي الوسيط ، وحسبنا أن يكون صاحب الكتاب الثاني بعد القرآن واحدا من أبناء هذه الشعوب . . . إنه الإمام « البخاري » وكفى !!

وهذه الشعوب التي أبيدت هي ، (الكريمين ، والتتار ، والكالموك ، والكرك ، والشيشن ، والكولاك ، والأنجش ، والألبان) . . . وقد كان عدد الشعوب السبعة الأولى نحو خمسين مليونا ، فنقص الآن إلى ما دون الثلاثين . . . وقد استولى الروس على بلادهم وأراضيهم في شهر فبراير ١٩٤٤ ،

وذلك إثر خديعة سياسية قام بها « ستالين » ، واعتمد في خديعته تلك على زعم من أغرب المزاعم في التاريخ ، هو أن هؤلاء الناس كان في « نيتهم » - ولاحظ كلمة نيتهم - أن يتعاونوا مع الألمان ضد الروس ، أثناء وجودهم في روسيا .

وباسم هذا الزعم ضم هذا الإرهابي أفرييجان ، وقازكستان ، وأزبكستان وتركستان ، وغيرها ، أما ألبانيا فقد تسلمها شيوعيون ألبان سلموها لقمة سائفة للاستعمار الروسي ، ثم تقلبت بها السياسة إلى الاستعمار الصيني . .

والغريب أن الصحافة العالمية لم تشر قط إلى أية معلومات عن الشعوب المسلمة السبعة التي اغتصبها الروس إبان الحرب العالمية الثانية !!

والغريب أن الوثائق والمعاهدات والاتفاقات التي أبرمت عقب انتهاء الحرب ، لم تشر قط إلى هؤلاء الناس !

والغريب - أخيراً - أن أمريكا وأوروبا قد تعاونتا مع روسيا والصين ، في قهر كل صوت يحاول أن يبرز قضية هذه الشعوب في المحافل الدولية وبالتالي فلم تدرج قضيتهم قط في الأمم المتحدة ، ولا في محكمة العدل الدولية ، ولا في غيرها من محافل « حقوق الإنسان » !!

• • •

وعندما نمد الطرف إلى بقاع أخرى في آسيا قبل أن نعبأها إلى غيرها في تتبعنا لمسيرة مجرى « الدم الإسلامي » المتدفق ، سوف يرتد الطرف حسيراً ، وهو يزي - على القرب - تلك السيول الحمراء التي تمحف بشاطئ « الخليج الإسلامي » من جانبيه الإيراني والعربي .

- فبينما كانت شبه القارة الهندية ، يتعاون فيها الهندوس عبدة البقر ، مع الإنجليز عبدة المسيح ، على تصفية الدم الإسلامي ، لدرجة أن الإنجليز كانوا يجعلون من إخواننا المسلمين الهنود بديلاً للدواب التي يسوقونها أمامهم لتكون ضحية قتابل « الألغام » الموضوعه في باطن الأرض .

بينما هذا . . في شبه القارة الهندية ، نجد على خطوات أقرب وأقرب
ينابيع من الدماء الإسلامية ، فجرتها حفنة شيوعية في اليمن الجنوبي الأحمر .
وفي سوريا . . على يد البعث . .
وفي قصر النهاية ببغداد البعثية . .
وفي تايلاند حيث يعيش أكثر من مليون مسلم . .
وفي القبلين حيث يقرب عدد الضحايا من مليونين .
وفي فلسطين المحتلة ، وفي جنوب لبنان حيث تتعاون الطائرات السورية
والمارونية والإسرائيلية على تعميق قنوات الدم الإسلامي . .
وفي أندونيسيا يتقلب مصير المسلمين بين ضغط داخلي بقيادة سوهارتو ،
وضغط آخر يقوده التبشير والفاثيكان الآن . .

* * *

وفي أفريقيا تأخذ المعركة أبعاداً جديدة . ففي هذه القارة تحدد الأمل
الإسلامي على مشارف هذا القرن ، وراج بين المسلمين أن القارة السوداء
هي قارة المستقبل الإسلامي . . ولئن كان أمل المسلمين قد خاب في بقاع
مختلفة من العالم ، فإن المسلمين قد انجهوا ببقية رصيدهم من الأمل إلى تلك
القارة ، يأملون أن تكون الشعاع المتبقى . .

ومع أن القوى الصليبية قد فشلت دينياً في داخل كياناتها ، بحيث
إن مكانة الدين قد هبطت في أوروبا وأمريكا إلى أسوأ الدرجات ، فإنها
قد رأت ضرورة تصدير (الدين) إلى الخارج ، لكي تقف به أمام زحف
الإسلام في القارة السوداء .

ولما لم يكن الدين هو هدف هذه القوى الاستعمارية ، فإنها عندما
خاب أملها في أن تقف أمام زحف الإسلام ، لم تر بأساً أن تستورد الشيوعية
وتهادنها ، للوقوف أمام الدين الزاحف واللغة الزاحفة .

. ونتيجة لهذه الجهود المكثفة من قبل الصليبيين وعملائهم الشيوعيين
توشك أفريقيا اليوم أن تضيق من يد الإسلام ، - ففي نيجيريا ، التي تعتبر
أكبر بلد أفريقي سالت الدماء الإسلامية بعنف وقسوة ، وبطريقة خفية
ولسكن مكشوفة . لم يكن يدري أحد لحدودها نهاية ، وكان أبرز حادث
دموى هو مقتل المحاهد الرئيس (أحمدو بلو) وما تبعه من حكم نصراني
ومن حركة انفصال (بيافرا)

وفي البلد الإفريقي « الثاني » حيث تعيش أغلبية إسلامية كبيرة ، وتوجد
إمكانات نهضة إسلامية قوية ، تمكن التواطؤ الصليبي الشيوعي من التكيل
الدموى والإرهابي بالاسلاميين ، حتى ليقول بعض المؤرخين : إن ما تعرض
له الإسلاميون في هذا البلد على امتداد العقدين الأخيرين يعتبر من أكبر
المذابح العقائدية في التاريخ .

أما في (تنزانيا) حيث نجح طاغوت كبير هو (جوليوس نيريري)
في الوصول إلى الحكم ، فقد أقام المشانق للمسلمين ، وتقول إحدى
الإحصاءات أنه تم القضاء على أكثر من عشرين ألف مسلم في بضعة أسابيع ،
وأن من جملة هؤلاء كان خيرة العلماء الزنجاريين .

أما في كينيا وتشاد والصومال ، فالدم الإسلامي يتأرجح بين السفك
لأمور داخلية ، ولا اعتبارات خارجية .

وتأتي (حبشة) هيلاسلاسي ، ومانجستو ، ترى العالم أبشع صورة
للعداء للإسلام .

ولقد عمل بكل قوته على تصفية المسلمين ، وعلى تنصيرهم ، وبما أن
تنصيرهم كان مستحيلا ، فقد فرض عليهم أسوأ ظروف الحياة المتخلفة .
وما كان موقفه ، ولا موقف الدكتاتور الحالي « مانجستو » ، من
مسلمي أريتريا والصومال الغربي ، عندنه الإسلامية العريقة وعلى رأسها
(هرر) إلا جزءاً من احتقار الدم الإسلامي وإنسانية الإنسان المسلم .

* * *

هذا الإنسان المسلم الذى أرر إلى الوجود فى قوله وسلوكه أبرر صور التسامح وحمى الجنس اليهودى من الانقراض على يد المتعصبين من النصارى .
هذا الإنسان تحول إلى ما كان عليه « اليهودى المتبوذ » فى مدن أوروبا فى العصر الوسيط .

وإذا كنا نحن المسلمين قد سعدنا بالإفراج عن المطران « كابوتشى » من سجون إسرائيل . بعد الضجة العالمية التى أثيرت حوله ، فكما كنا نتمنى أن تقوم ضجة قريبة منها لعشرات الألوف من المسلمين المعتقلين بلا ذنب ، وعشرات الملايين من المسلمين المضطهدين فى آسيا وأفريقيا ، لمجرد أنهم ينتمون إلى الإسلام .

إتنا نريد مساواة فى العدل . .

ونريد ألا يسجن المسلم بلا جريمة ، وألا تعقد له محاكم خاصة .
وألا يباع دمه - وحده - بأرخص الأثمان .

(٢)

أمريكا تطوق العالم الإسلامي

نستطيع أن نقول : إن التخوم التي فصل بين
عامي ٦٦ ، ١٩٦٧ م كانت بداية (المرحلة الثانية)
من مراحل ابتلاع أمريكا للعالم الإسلامي .

وبما أننا لسنا على منهج بعض المفكرين الذين
ينتظرون من أمريكا الصديقة أن تطلعهم على تخطيطاتها
بالتفصيل (!!) فنحن مضطرون - آسفين - لاستعمال
عقولنا ، ومضطرون - أيضا - للاستفادة من دروس
التاريخ ، وللنظر في الأحداث بعين التحليل والاستنباط .

ولهذه الحثيات - وغيرها - فنحن على وجه التقريب نقسم مراحل
تطويق أمريكا للعالم الإسلامي إلى ثلاث مراحل :

الأولى : مرحلة تمهيدية ، وفيها نجحت أمريكا في تفرغ العالم الإسلامي
من الاستعمار القديم التقليدي ، وأحدثت - بعده - أنواعاً من الانقلابات
الدموية الثورية التي قضت على ما أبقاه الاستعمار رغمًا عنه من خناصر القوة
الكامنة ، فقضت هذه النظم - مثلاً - على كل الحركات الإسلامية
الإيجابية (كالأخوان المسلمين) في مصر ، وحزب (ماشومي) في
أندونيسيا ، و (فدائيان إسلام) في إيران ، وغير هذه من الحركات التي
كانت تمثل - وعناصر أخرى - خناصر المستقبل ، كما قضت هذه النظم
أيضاً على الإحساس بالإنسانية ، وعلى معنى الحرية ، وعلى حب الوطن
الذي تحول إلى سجن كبير !! وأصبح الوطن الإسلامي - كما قال أرنهاور -
(منطقة فراغ) محتاج للملء !!

الثانية : أما المرحلة الثانية فنستطيع أن نسميها مرحلة الالتهاب وإشعال الحرائق لإبادة كل ما يمكن أن يكون قد بقي من خيئر المستقبل .

ومع سنة ١٩٦٦ م ، بدأت مرحلة إسقاط العناصر التي أدت دورها في المرحلة الأولى وأصبحت عبئا على التخطيط الأمريكي .

فبدأ الأمر بإسقاط سوكارنو والشيوعيين في أندونيسيا ، وبدأت الفضائح الأخلاقية لسوكارنو تظهر على السطح بعد أن كانت مستورة . . . وبدأ « التبشير » الأمريكي يرث التركة بمساعدة رجل آخر يمثل المرحلة الجديدة ، ويستطيع الاضطلاع بأعبائها .. !!

وقد تتابع سقوط أبطال الفصل الأول من مسرحية تطويق العالم الإسلامي بما لا يحتاج لبيان ، وبطرق وأساليب مختلفة معروفة . ولئن كانت المرحلة التمهيدية تمتاز بشيء من المداهنة والنفس الطويل ، فإن المرحلة الثانية لا تقبل إلا أحد أمرين :

إما فرض « الأمركة » وتوابعها من تبشير وتحلل خلقي ونظام رأسمالي ، وما إلى ذلك بأسلوب شبه واضح ، مع إظهار لون من الديمقراطية الموجهة التي لا تضر بالتخطيط التبشيري والتطويق الأمريكي !! ، ومع الاحتفاظ بقدر من التهديدات أيضا .

وإما - ولا بديل عن ذلك - استئجار الشيوعية - (بعقد عمل مؤقت) لاشعال الحرائق في العالم الإسلامي ، وللأعمال الإبادة ، كمنهج التطويق الأمريكي - كمنقذ من جانب ، ولكي تطلع الشعوب على الأسلوب الشيوعي ، الذي يمثل البديل الوحيد - لمن أراد الخروج على التخطيط الأمريكي من جانب آخر ، فتضرب أمريكا - بهذا الاستئجار المرحلي للشيوعية - عدة أهداف بحجر واحد .

أما المرحلة الثالثة : فهي التي يتم فيها الاستيلاء شبه الكامل - مع بعض التجاوزات المرشلية - على العالم الإسلامي كله وبلا استثناء . ودون اعتبار لأي صداقات سابقة أو أي موثيق أو عهود . . . ويكون المسوغ القانوني

الذى تبرزه أمريكا هو أن هذا هو الحل الوحيد للإنقاذ من الشيوعية . .
فإما أمريكا أو الطوفان الذى عرفتموه فى نماذج عدن والصومال وأفغانستان
وما شابهها .

وفى هذه المرحلة يمكن الاعتماد على الأقليات الصليبية والصيوانية
الموالية لأمريكا فى العالم الإسلامى ، وعلى قوافل المبشرين ، وعلى أساليب
الرقابة الأمريكية التى تستعين بعملاء من الداخل وبالأجهزة العلمية الحديثة
أكثر مما تعتمد على جيوش وأساطيل ، كما كان الشأن فى الاستعمار التقليدى
البائد !!

نحن نعيش فى المرحلة الثانية :

ثمة عدة أحداث وتحولات مروعة قامت بها أمريكا مع حلول سنة ١٩٦٦
تكشف عن وجهها الحقيقى فى المرحلة الحالية .

فبينما كانت مصر تلمم جراحها من آثار هزيمة مروعة كان لأمريكا
فيها يد طويلة لا تنكر - منبهة الفصل الأول من المسرحية فى هذا الجزء الحيوى
من العالم الإسلامى - كان سوهارتو على الجناح الإسلامى الآخر يقف فى
نوفمبر ١٩٦٧ م ليعلن ميلاد (دين جديد) يرضى أمريكا والمبشرين ، ويحل
محل الإسلام ، وهو دين « البانتشاسيلا » الذى يعترف بلون من الربانية
الممزوجة بالعلمانية والاتحاد بين الأديان والمساواة بينها وعبادة القومية «
ومع هذا فلم يرض المبشرون بالدين الجديد ، فأطلقت السلطة أيليمهم لفرض
التنصير على المسلمين الفقراء على امتداد أندونيسيا ، وفى هذا العام (١٩٦٧م)
- أيضاً - أوعز التخطيط الأمريكى للفايكان بفتح جبهة ما يسمى (بالحوار
المسيحى الإسلامى) لشغل الفكر الإسلامى والعاملين للإسلام ، ولدراسة
نفسياتهم وتطلعاتهم لمعرفة كيف يمكن تحويرها وإجهاضها ، وفعلاً أصدرت
سكرتارية الفايكان لشئون غير المسيحيين أثر مجمع الفايكان الثانى (وثيقة)
بعضوان : (توجيهات لإقامة حوار بين المسيحيين والمسلمين) دعت فيها
إلى الاعتراف (بمظالم الماضى) التى ارتكبتها الغرب ذو التربية المسيحية فى

حق المسلمين . . لكن ماذا عن (مظالم الحاضر) المتمثلة في زحفكم بالطائرات والمطارات ومئات الملايين من الدولارات والوسائل البشعة واللاإنسانية على مائة مليون مسلم فقير ومسكين في أندونيسيا ؟

إن هذا لم تتكلم عنه الوثيقة . . بل كانت الهيئات التبشيرية ترفض بتعنت بشديد وإذلال لنسبة ٩٥٪ من المسلمين في أندونيسيا . . كانت ترفض وبإصرار وتحذ اقترح الرئيس (سوهارتو) الذى قاله في حفل افتتاح (مؤتمر ممثلى الأديان) . (في نوفمبر سنة ١٩٦٧) بألا تكون هناك أية محاولة من أية جهة (لرفض دين من الأديان على الناس) . بل إن الرئيس (سوهارتو) قد أشار على المبشرين بالعمل (وسط الجماعات البدائية التى لا تزال كثيرة في بعض مناطق أندونيسيا) لكنهم كذلك رفضوا إلا العمل (وسط المسلمين) بالدرجة الأولى متذرعين بأن (التبشير بين المسلمين أمر إلهى ليس بمقدور البشر رفضه) وكان أكثر المتعصبين هو الكاهن (تاميونان) الذى رفض أى مهادنة للإسلام . وبعد ذلك بقليل أرسلت أمريكا (بصفة تطوع من أفراد) ثلاثمائة ألف دولار لطائفة البروتستانت الأندونيسية . . تأكيداً لاتجاه تنصير أندونيسيا ، بينما كانت وثيقة الفاتيكان تطلب من المسلمين نسيان (مظالم الماضى) وفتح صفحة جديدة !!!

ضربة قاضية أخسرى :

وخطت أمريكا خطوة أخرى كبرى كانت تدبر لها فيما يبدو منذ مدة . لقد سكتت أمريكا مؤقتاً - وهو أمر لا يمكنها أن تسكت عنه إلا باتفاق مسبق - عن نفوذ روسيا في الهند . وتركت لروسيا فرصة بيع كميات كبيرة من أسلحتها للهند . . وفي الجانب الآخر سكتت أمريكا أيضاً (بغدر ونفاق) عن اتفاقية دفاع مشترك بينها وبين باكستان فأتمت - بالتالى - حلقتى الكاشة . . ولم يبق إلا التنفيذ . . الذى تم في عام ١٩٧١ ، وقام الضباط الروس والهنود بسلب جلود مسلمى باكستان وهم أحياء ، وقتلوا

مئات وآلافاً من العلماء والفقهاء والدعاة، حتى الدكتور (سيد محمد حسين) عميد جامعة دكا لم يفلت من المذبحة، وحتى الصحافي المشهور (أخطر فاروق) صاحب جريدة (شنغرام) اليومية، لم يفلت أيضاً. والمهم أنه تم ضرب باكستان أكبر دولة إسلامية ضربة قاصمة، وتفتتت إلى دولتين على عين أمريكا وسمعتها. . وعاد وزير الخارجية (ذر النزار ملى بوتو) الذي كان له شرف إعلان الهزيمة والتقسيم قبل نهاية المعركة ليصبح رئيس جمهورية باكستان، تماماً كما عاد (حافظ الأسد) وزير دفاع سوريا الذي أعلن سقوط الجولان (قبل سقوطها) ليصبح رئيس جمهورية سوريا. . ! !

ويهمنا هنا أن نشير إلى تلك الأنشودة التي رددتها الإرساليات المعمدانية الأسترالية عقب تمزق باكستان وولادة بنجلاديش. . وفيها تقول :

- ولدت أمة جديدة اسمها بنغلادش .
 - سنحت فرصة جديدة لتعليم المسلمين الإنجيل .
 - لم يعد الدين الإسلامي دين الدولة .
 - لقد قتل المسلم أخاه المسلم .
 - لنعهد إلى أنفسنا بإقامة الصلوات من أجل التبشير . . ولنجمع المال من أجل هذه الفرصة التي أتاحت للإنجيل .
- ومع ذلك يتجدثون منذ سنة ١٩٦٧ في الفاتيكان عن (الحوار المسيحي الإسلامي) ويضحكون على المتاجرين بالإسلام وعلى المسلمين الحكوميين !!

ضرب أفريقيا جزء من المرحلة التالية :

- ويركز التخطيط الآن على ثلاث جهات :
- أولها أفريقية ، وثانيها آسيا وثالثها الأقليات الإسلامية في العالم كله .
- وتحتل أفريقيا أهمية خاصة لأنها كانت مرشحة لأن تكون قارة المستقبل الإسلامي . .

ويتخذ الوقوف ضد الإسلام في أفريقيا أسلوبين : الأول هو التبشير

المباشر واستئجار حكام محليين غير مسلمين للقيام بالمهمة ، والأسلوب الثاني هو إحداث انقلابات شيوعية لكي تقوم « بإيادة الإسلام » لأن التخطيط الأمريكي يرفض أن تنسب إليه الإبادة المباشرة . . وبالتالي يلقي العبء على الشيوعيين للقيام بالمهمة المحدودة !!

- وحيثما أجلت النظر وجدت مأساة في الخريطة الإسلامية الأفريقية .
- في تشاد التي يبلغ عدد المسلمين فيها ثلاثة ملايين وخمسمائة ألف نسمة . ويمثلون ٨٥ في المائة من تعداد السكان .
- وفي أثيوبيا التي يبلغ عدد المسلمين فيها نحو ثمانية عشر مليوناً ويمثلون ٦٥ في المائة من تعداد السكان .
- وفي موريتانيا - جرسها الله - نحو مليون وثلاثمائة ألف ، ويمثل المسلمون مائة في المائة من تعداد السكان .
- وفي نيجيريا « وتذكروا أحمدو بلو » حيث يقرب المسلمون من ٦٠ مليوناً ويمثلون ٧٥ في المائة من تعداد السكان .
- وفي الصومال نحو أربعة ملايين مسلم بنسبة مائة في المائة .
- وفي السودان . (وتذكروا الجنوب اليتيم) !!
- وفي تنزانيا « وتذكروا جولويس نيريري » حيث يصل المسلمون إلى نحو عشرة ملايين ، وقد تعرض علماءهم على يد نيريري لإبادة وحشية .
- وفي تونس وجزر القمر وإريتريا والجزائر .

وهذه مجرد نماذج تؤكد : بأن هناك سياسة الديناميت والمتفجرات والتواطؤ والدعم المشبوه . . وتتحرك الأحجار على رقعة الشطرنج وتمتص « لعبة الأمم » نسبة كبيرة من ميزانية « الأمن القومي » في أمريكا .

وآسيا في المرحلة الثانية أيضاً !

ويدخل تطبيق آسيا الإسلامية أيضاً ضمن هذه المرحلة الثانية ، سواء على مستوى البلدان الإسلامية أو الأقليات المعرضة للإبادة .

ومعلوم أن الإسلام خسر موقعين أساسيين في آسيا سابقا هما البلاد الإسلامية الواقعة تحت نفوذ الاتحاد السوفيتي والصين والتي تقدر مساحتها فيما بين نهري سيحون وجيخون بمساحة الأندلس ، ثم تركيا الإسلامية بامتدادها الآسيوي في عصر الخلافة .

وإذا اقتربنا من مواقع أقدامنا أكثر على خريطة آسيا وجدنا بلاد الشام التي حمت الإسلام في أزمان كثيرة - مهددة هي الأخرى عن طريق (إسرائيل) حارسة التخطيط الأمريكي - للسقوط في قاع مرحلة التطويق الكامل ، فلسطين ولبنان قد لحقتا - تقريبا - بالمواقع التي ضاعت من الإسلام في آسيا . وتقترب (سوريا) من نفس الخطر . وليست (عراق) ميشيل عفلق الصابوي عن هذا المصير بعيدة .

أما الأقليات الإسلامية في آسيا فليس أسهل من ضربها بواسطة الرجال الخلفيين للتخطيط الأمريكي في الفلبين ، وبورما ، وتايلاند ، وكبوديا ، ولاوس ، والفيتنام ، فضلا عن أن تأثير هذه الأقليات محدود جداً في ظل التخاذل الإسلامي العام للحكومات المحسرة على الإسلام .

ما الثمن الذي تقبضه روسيا ؟

لكن هل روسيا من البلاهة بحيث تكون مجرد أجر للتخطيط الأمريكي بلا ثمن ؟ .

طبعاً لا . . بل إن روسيا لا تقل خبيثاً ولا مكرراً . . فهي - أولاً - تعتقد أنها تروج للذهب من خلال « الرضا الأمريكي » وهذا مكسب كبير ، وثانياً هي أيضاً لها بعض المكاسب المحدودة ، وعندما بعض العورات ونقاط الضعف التي تحتاج إلى سكوت . . والسياسة أخذ وعطاء كما يقولون .

ومعلوم أن « جيمي كارتر » منذ جاء إلى الحكم وهو يصم أذنه عن التقدم الشيوعي الذي يزداد كل يوم في العالم وبخاصة في العالم الإسلامي . . في أنبولا . . في موزمبيق . . أفغانستان . . في عدن على مشارف البيت الحرام . . في الصومال . . في الحبشة . . في العراق وفي بقاع أخرى كثيرة من العالم !

وفي داخل الاتحاد السوفيتي وحده توجد أقلية إسلامية تصل إلى أكثر من أربعين مليون مسلم ، وكانت تمثل عديداً من الشعوب ذات التراث الخاص كالتتار المسلمين والكريمن والشيش والكرك والكولاك والكالموك والانجس والألبان .

وقد حاول هؤلاء المسلمون رفع صوتهم إلى الأمم المتحدة . . . لكن أمريكا كجزء من بنود اتفاقية عقد العمل - تواطأت وسكتت على إيادة هذه الشعوب المسلمة وإن رفعت العقيرة حداً على المنشقين والمعارضين السوفيت !

وإلى جانب هذا المكسب الذي هو أيضاً مكسب - على حساب الإسلام - ولاحظ هنا اتفاق الطرفين في الأخذ والعطاء على الإسلام وحده - هناك مكاسب أخرى تأخذها روسيا منها : السكوت عن إثارة التماعب ضدها في البلدان الشيوعية الواقعة تحت تأثيرها كالحجر وتشيكوسلوفاكيا وألمانيا الشرقية وغيرها .

ومنها إقالة عشرة اقتصادها المنهار بمليارات الدولارات والقمح والإيعاز للأصدقاء بمساعدتها اقتصاديا ، كألمانيا واليابان ، وكالتخلي لها عن بعض المواقع لكي تكسب منها بعض المليارات ، وذلك مثل إفساح المجال في (ليبيا) وتوجيه الحكومة الليبية لشراء أسلحة تقليدية من روسيا بلغت قيمتها - كما أعلن - اثني عشر مليار دولار ، وهو مبلغ لا بأس به !

ومن المكاسب أيضا - لاشك في هذا - نظرية حفظ التوازن المطبقة ، سواء في جبهة « كوبا » أو في جبهة « الصين » و « الصين الوطنية » إلى غير ذلك من المكاسب التي لا مجال لاستقصائها . . لكنها بالتأكيد - تبعاً للغة السياسة - مكاسب متوازنة ، على حساب العالم الإسلامي المفكك المقهور ! وهو ثمن عادل يقابل (عقد العمل المؤقت) !

وفي الخطوات الأخيرة من « المرحلة الثانية » وقبيل « المرحلة الثالثة » -
مرحلة الالتهام الكامل بقليل - في هذه الخطوات الأخيرة اقتربت « الحرائق »
من البيت .. من المركز الأكبر .. من القلب .. وأصبحنا لا ندرى ماذا
سيحدث غداً بعد أن تلاحقت الأحداث بسرعة أكبر مما كنا نتوقع . .
وتعتبر كلها (حرائق) حول البيت :

• سقوط القرن الأفريقي تقريباً .. وحرب الإبادة الكاملة ضد إريتريا .
و ضد الصومال الواقع تحت قبضة شيوعيين عرضوا أنفسهم على أمريكا فلم
تقبلهم .. واعتذرت لأن ظروفها لا تسمح !

• سقوط أفغانستان .. الذى يمثل تهديداً خطيراً لباكستان . وإيران
التي تقف - أيضاً - كواحد من حراس الخليج ، والذى يبدو أن ثمة
إجراءات أيضاً للاستغناء عن دورها عند انتهاء هذه المرحلة .

• وسقوط .. ماذا ؟

فالحق أننى لا أدرى إلى أن تصل هذه السطور للقارئ أى بلد إسلامى
سيكون الدور قد أصابه ..

إنه - يا بنى قومي لو يطاع للمسلم نصيح - حريق كبير .. كبير جداً
حول البيت .. !

(٣)

أفريقيا المسلمة... تستغيث

أفريقيا

تقديم :

إفريقيا هذه القارة القديمة الجديدة التي تمثل مساحتها خمس مساحة الكرة الأرضية ، بينما لا يزيد عدد سكانها عن مائتين وستين مليوناً من البشر . .

هذه القارة التي تبلغ هذه المساحة الشاسعة ولا يزيد سكانها عن هذه النسبة التي لا تزيد عن (١) على (١٢) من النسبة العددية لسكان المعمورة تحفل بمئات من اللغات يقدرها بعضهم بثمانمائة لغة^(١) ، بينما يقدرها آخرون بألني لغة^(٢) .

أما الأديان والعقائد التي تنتظم إفريقيا فهي كثيرة لا تحصى ، وتتنظمها - تقريباً - كل العقائد التي تسود الأرض ، بل ثمة عقائد لا توجد إلا فيها .

فبدءاً من العقائد البدائية كتقديس ظواهر الطبيعة وأرواح الأجداد ، أو تقديس الأرواح والأشباح والأبطال . . وانتهاء بالمسيحية والإسلام تتجاوز على امتداد القارة عشرات العقائد ، ولا يبدو خافتاً منها إلا بعض أديان الهند ، وإلا اليهودية نظراً لطبيعتها كدين قومي منغلقة لا يسعى أصحابه إلى انتشاره على النحو الذي تقوم به الأديان الأخرى .

(١) الدكتور محمد عوض محمد : الشعوب والسلالات البشرية صفحة ٢١ .

(٢) الدكتور نيليب رفل : الجغرافيا السياسية لإفريقية صفحة ٢٠٧ .

ومن بين هذا الخليط من اللغات تعتبر اللغة العربية هي اللغة الأولى في القارة الإفريقية ، حيث يتكلم نحو تسعين مليوناً بها .

كما أن الإسلام من بين هذا العدد الكبير من العتائد هو الدين الذي يحتل المرتبة الأولى ، إذ يؤمن به أكثر من ١٧٠ مليوناً من السكان .

عقبات وضعها الاستعمار في القارة :

لقد أيقن الاستعمار - بمنظاره التاريخي - أن إفريقية هي قارة الإسلام والعربية في المستقبل . . وأن الديانة المسيحية واللغة الأوربية (الإنجليزية أو فرنسية) اللذين حملهما إلى القارة خلال فترة سيطرته عليها - ينظر إليهما على أنهما مظهران استعماريان ، وأن القارة الإفريقية بعد أن تحصل على استقلالها - الذي أيقن بوقوعه - لن تلبث أن تتخلص منهما كظهريين من مظاهر سيطرته . . وبخاصة أن ما حملة الاستعمار - سلوكاً - يتناقض مع ما يزعم أن النصرانية تحمله إلى البشرية - فشتان بين أقوال رجال الكنيسة وأفعال رجال السياسة . . بل إنه في كثير من الأحيان كان يظهر الفرق جلياً بين أقوال رجال الكنيسة أنفسهم . . والدور الذي يلعبونه كجهاز يعمل بتنسيق مع وزارة المستعمرات . . ومع المصالح « الاستراتيجية » الاستعمارية .

ومن هنا خطط المستعمر لضمان تفكك القارة الإفريقية ، وتقسيمها إلى وحدات سياسية وجغرافية . . تمثل أكبر نسبة تقسيمية في العالم . . حتى يصبح هذا التقسيم - بحذ ذاته - عقبة كئوداً في وجه المستقبل الإسلامي والعربي في القارة الإفريقية . . .

وإذا كانت أمريكا قارة واستراليا قارة والصين التي تمثل ربع سكان العالم وحدة سياسية وجغرافية متكاملة - فإن أفريقيا - قد قدر عليها الاستعمار أن تتحول إلى أشباه دول ، تماماً مثلما فعل الاستعمار بكل المناطق التي يخاف انبعاثها - كالحليج العربي مثلاً - فثمة دول في أفريقيا لا تقرب إمكاناتها البشرية والطبيعية من كثير من المدن الإنجليزية والأمريكية .

إفريقيا العربية - كنموذج تقدمه - قسمها فرنسا منذ وطئها بأقدامها إلى ثمانى دول . . أصبح كل منها عضواً في المجموعة الدولية له ما لفرنسا نفسها وعليه ما عليها من تبعات وأعباء مع ما في هذا من إنباك للإمكانات . . وبعثرة للطاقة . . وضمان لمستقبل محدود هزيل . . وهذه الدول التى كانت تشكل إفريقيا الغربية هى : (السنغال ، السودان الفرنسى ، غينيا ، فولتا ، ساحل العاج ، داهومى ، النيجر ، موريتانيا) . .

وبين الجدول التالى -- وهو جدول محصور فى الدول ذات الأثرية الإسلامية (١) - هيكمل التقسيم السياسى والبشرى والجغرافى الذى أخضع الاستعمار الأوروبى القارة الإفريقية له . حتى يحول بينهما وبين أن تصير يوماً (قارة الإسلام) دينا ولغة وحضارة :

(١) رجينا إلى أطلس العالم الإسلامى ، وتقويم البلدان الإسلامية وعدلنا النسبة وفقاً لمعدل النمو السكانى .

دول العالم الإسلامي المستقلة بإفريقيا

النسبة المئوية لمجموع السكان	عدد المسلمين	الدولة	مسل
% ٩٨	١٥,٣٨٦,٠٠٠	الجزائر	١
% ٣٥	٣,٣٦٥,٠٠٠	الكامرون	٢
% ٥٥	٩٠٢,٠٠٠	جمهورية وسط افريقيا	٣
% ٨٥	٣,٤٠٠,٠٠٠	تشاد	٤
% ٦٠	١,٦٤٦,٠٠٠	داهومي	٥
% ٩٢	٣٣,٣٨٦,٠٠٠	مصر	٦
% ٦٥	١٧,٢٨٩,٠٠٠	أثيوبيا	٦
% ٨٥	٣٢٦,٠٠٠	جامبيا	٧
% ٩٥	٤٠٤٧,٠٠٠	غينيا	٩
% ٧٠	٥٦٧,٠٠٠	غينيا بيساو	١٠
% ٥٥	٢٤٨٤,٠٠٠	ساحل العاج	١١
% ١٠٠	٢١٧٨,٠٠٠	ليبيا	١٢
% ٩٠	٤٨٥٣,٠٠٠	مالي	١٣
% ١٠٠	١٢٢٧,٠٠٠	موريتانيا	١٤
% ٩٩	١٦٨٢٦,٠٠٠	مراكش	١٥
% ٩١	٤٩٦٣,٠٠٠	النيجر	١٦
% ٧٥	٥٩٨٢,٠٠٠	نيجيريا	١٧
% ٩٥	٣٨١٩,٠٠٠	السنغال	١٨
% ٦٥	١٨٠٠,٠٠٠	سيراليون	١٩
% ١٠٠	٣٩٥,٠٠٠	الصومال	٢٠
% ٨٥	١٤٣٧٥,٠٠٠	السودان	٢١
% ٦٥	٩٣٤٦,٠٠٠	تanzania	٢٢
% ٥٥	١١٦٦,٠٠٠	توجو	٢٣
% ٩٥	٥٣٤٥,٠٠٠	تونس	٢٤
% ٥٦	٣٨٧٩,٠٠٠	فولتا العليا	٢٥
% ٨٥	٢,٠٠٠,٠٠٠	أرتيريا	٢٦
% ٩٥	٢٨٥,٠٠٠	جزر القمر	٢٧

ويضاف إلى هذه الدول ذات الأغلبية الإسلامية - ما يربو على ثلاثين مليوناً من المسلمين يمثلون أقليات تتناثر هنا وهناك بباقي الدول الإفريقية، ويمكن حصرهم على النحو التالي (١) :

مسلسل	البلدان	عدد المسلمين	نسبة المسلمين المئوية
١	ليبيريا	٧٧٠,٠٠٠	%٣٠
٢	غانا	٢,٢٥٠,٠٠٠	%٣٠
٣	الجابون	١٩٥,٠٠٠	%٤٠
٤	الكونغو برازفيل	١٤٠,٠٠٠	%١٥
٥	أوغندا	٢,٥٠٠,٠٠٠ تقريباً	%٤٠
٦	غينيا	١,٧٠٠,٠٠٠	%٢٠
٧	موزمبيق	١,٧٥٠,٠٠٠	%٢٥
٨	ملاي جاش	١,١٥٠,٠٠٠	%٢٠

وكما أخضع الاستعمار القارة لهذا التقسيم الجغرافي والسياسي ، فإنه أخضعها لعدد من المظاهر الشاذة التي تنفرد بها إفريقيا من بين قارات الأرض الأخرى :

فهناك أكثرية إسلامية في أكثر من بلد إفريقية يتولى أمرها حكام غير مسلمين ، تربوا في أحضان الكنيسة ، وتغدوا بلبانها .

وهناك شعوب إفريقية يوجه سياستها - بل ويحكمها في بعض الأحيان حكماً مباشراً - أوروبيون - أو تلامذة للتبشير وللكنيسة ومعاهد العلم الغربي .

وهناك تفرقة عنصرية تنطلق من تلك النظرية الغربية التي احتلت مكاناً بارزاً في الفكر الأوروبي وهي نظرية (سيادة الرجل الأبيض) وأفضليته - أفضلية جنسية مطلقة - على الرجل الأسود .

(١) انظر الماش السابق .

وحول قضية التفرقة العنصرية - التي لا تبرز على نحو عميق -
إلا في القارة الإفريقية يقول الرئيس « أحمد سيكوتوري » ساخراً من أولئك
الأوروبيين الذين اندفعوا إلى إفريقية بمساطر وأقلام يقيسون بها الجماجم
والقسمات ، ويقررون بناء على هذه المقاييس الظالمة « أن الرجل الأسود
مكانه في عالم الحيوان بين الشمبازي والجيون أي القرود شديدة الشبه
بالإنسان » .

ويبين الرئيس سيكوتوري أن لون البشرة ليس سوى واقع يطابق ظروف
الهيئة ، ثم يتساءل : هل جميع الأبقار لها لون واحد ، وهل تفضل البقرة
البيضاء زميلتها الحمراء أو السوداء ؟ والإجابة بالنفي بالتأكيد (١) .

ومع ذلك فالتفرقة العنصرية حقيقة يفرضها الاستعمار على أجزاء متعددة
من إفريقيا .

وهناك إلى جانب هذه المظاهر الثلاثة الشاذة - الوضعية الاقتصادية
المتخلفة التي يفرضها الاستعمار على إفريقية ، حين حرم عليها التصنيع وحوّلها
إلى بلاد منتجة ومصدرة للمواد الأولية بأرخص الأسعار - وهي مستوردة -
في الوقت نفسه - لهذه المواد نفسها بعد تصنيعها في أوروبا - بأغلى الأسعار (٢)
« ومن العجيب أن إفريقيا الخصيبة أصبحت في ظل الاستعمار محتاجة إلى
المواد الغذائية لتستوردها من الخارج ، وذلك أن الجهود اتجهت في الحقل
الزراعي إلى إنتاج الحاصلات التي تصدر لا الحاصلات التي تستهلك محلياً .
وعلى هذا اتسعت مزارع البن والقطن والشاي والكافور اتساعاً كبيراً ،
وترك الأفريقيون يعانون نقص الغذاء (٣٠٠) ولا يتمكنون بوسائل حديثة
من صيد البحر . . كما يحرم عليهم صيد البر ، إذ كان الأوربي في الغابات
التي امتلكها هو القادر وحده على صيد الحيوانات البرية » (٣) .

(١) أحمد شلبي موسوعة التاريخ الإسلامي الجزء السادس ٦٨٢ .

(٢) الأستاذ كامل الشريف : المغامرة الإسرائيلية في أفريقيا صفحة ٩٠ .

(٣) بصرف من المرجع رقم (١) صفحة ٤٦٤ .

وفي ظل هذا يعتبر الفقر الشديد الذي يصل إلى حد المجاعات وما يتبعها من ضعف مناعي وانتشار للأراضى والأوبئة - أحد المظاهر البارزة التي فرضها الاستعمار على إفريقيا .

ويعبر الرئيس « جومو كنياتا » عن هذا الوضع الاقتصادي في مقاله المنشور - في عدد عام ١٩٧٠ من كتاب العام للموسوعة البريطانية . فيقول : « إن هدف سياستنا الأساسية أن نهيء للأغلبية العظمى من شعبنا أرضاً زرعونها وبيوتاً يملكونها وأعمالاً ثابتة يرتزقون منها - ونحن نستطيع أن نفعل ذلك فإن الاستقرار يمكن أن يسود القارة » (١) .

وكما فرض الاستعمار الفقر المدقع ، فرض الجهل الشديد أيضاً ، ولم يسمح إلا بحجم ضئيل من الثقافة ربطت مخططاته وأهدافه ، بحيث يصبح هذا (الشبه مثقف) الإفريقي مسخاً مشوهاً مستور الجذور . . لا يصلح أفريقيا ، ولا ينتمى إلى إفريقيا ولا يبيتها . لا بالنسبة لواقعها الحاضر . . ولا بالنسبة لآمالها في المستقبل

الخطر الاستعماري الكبير على الإسلام في أفريقيا :

وثمة خطر كبير - يضاف إلى ملامح الصورة التي فرضها الاستعمار على إفريقيا - يتمثل في هذه الجيوش التبشيرية المملوكة بأردية « النصرانية » والتي يتولى الإنفاق عليها سائر الدول الاستعمارية الكبرى . . تلك التي كان لها نفوذ في القارة ، أو التي تطمع في أن يكون لها نفوذ .

إن أغنى دولة في العالم هي الفاتيكان ، وإن ميزانية هذه الدويلة التي تمثل مجرد جزئ من أجزاء إيطاليا تنفق كلها في الأغراض التبشيرية - وتوجد تحت تصرف البابا وحده ما يزيد على خمسمائة مليون دولار ، يستطيع الإنفاق منها على أى غرض تبشيري في بلاد الإسلام (٢) .

(١) الأستاذ كامل الشريف : المعامرة الإسرائيلية صفحة ٩٠ .

(٢) انظر المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام : محمد الصواف ١٩٠

وتصدر عشرات من الصحف التبشيرية باللغات الحية تباع بشمن رمزي ،
وتهدى في أغلب الأحيان لمن يظن فيهم ضعف الإيمان من المسلمين .

ويقدر ما تنفقه الإرسالية الانكليزية الأهلية وحدها في السنة بمليون
جنيه استرليني ، كما يقدر ما تنفقه الإرسالية الأمريكية بثلاثة ملايين . .
وكلها تنفق تحت اسم « مكافحة الإسلام » .. وناهيك بالإنفاقات الحكومية
الرسمية فهي تصل إلى أرقام خيالية ، وتمتد إلى أكثر من مجال ، وتلبس
أكثر من قناع .

وقد نشرت المحلة التبشيرية الألمانية أن عدد جيش المبشرين البروتستانت
وحدهم هو ١٠٤ آلاف مبشر .

ويبلغ عدد النساء والرجال من موزعي التوراة والأنجيل المشتركين
في التبشير عدداً ما يقرب من ٩٣,٠٠٠ ، وعدد المعاهد الكنسية ١٧,٦٧١
معهداً ابتدائياً ومتوسطاً وثانويّاً .

ويخضع لسلطة التبشير أكثر من خمسمائة جامعة وكلية ومعهد عال -
كما يخضع لسلطتهم ٤٨٩ مدرسة لاهوتية متخصصة في تخريج المبشرين
وتدريبهم على أعمال التنصير . .

وتحت ساطة التبشير أيضاً - ٢٥٩٤ مدرسة ثانوية ، ٨٣٩٠٠ مدرسة
ابتدائية ، و ١١١٣ روضة أطفال ، وتفوز أفريقيا من هذه الاحصاءات
بأكبر نصيب .

وفي الجانب الطبي والاجتماعي - هو من أهم وسائل التبشير - يملك
المبشرون ٦٠٠ مستشفى للرجال والنساء ، ١٠٥٠ صيدلية توزع الدواء
بالمجان ، و ١١١ مجلساً طبياً ، ٩٣ جمعية للممرضات ، و ٢٦٥ ملجأ للأيتام ،
و ١٢٠ ملجأ للبرص ، ومثلها للصرم والبكم ، و ١١٥ مدرسة للمكفوفين ،
و ١١٣ مستوصفاً لمدمني الأفيون ، و ٨٥ ملجأ للأرامل . .

والتبشير يلجأ لكل الأساليب التقليدية والعصرية . .

فالمدارس والمستشفيات والمعونات الاقتصادية والصحف والإداعات
والكتب والملصقات . . . كل هذه - وغيرها - يلجأ إليها التبشير . .
وهو يقوم بعمله في عدة مستويات مختلفة . .

فهناك تبشير على مستوى الأفراد . . وهناك نبشير على مستوى الجماعات ،
وهناك تبشير صامت يلجأ إلى الكتاب والصحافة وأساليب التشكيك والدس
المنسوب زوراً إلى العلم - وهناك تبشير آخر خطير يستغل الظروف السياسية
والاقتصادية والاجتماعية التي تمر بها القارة . . فيقوم بدوره من وراء
الكواليس في شكل اتفاقيات سياسية أو اقتصادية . . كما يستغل الحقايب
الدبلوماسية . . .

والغريب في وضع التبشير - في إفريقيا - أنه قد لجأ في آخر تطوراته
إلى أسلوبين :

أسلوب التعاون مع الوثنيات الموجودة في القارة . . حتى يتمكن
في المرحلة الأولى من التخلص من الإسلام وهو المنافس القوي . . وبالتالي
فهو يتبنى مواقفها السياسية والاجتماعية ويمدها بكل وسائل الدعم ، ويساعد
على انبعاث نعاتها الإقليمية والقومية ولغاتها المحلية ، بل وعاداتها وتقاليدها
الوثنية ما بقي منها وما اندثر .

والأسلوب الثاني هو أسلوب التعاون مع اليهود . . . وهو تعاون سعى
إليه الطرفان معاً . . . سعت إليه إسرائيل . . وسعى إليه التبشير . . انطلاقاً
من وحدة الهدف . . الذي هو الإسلام في إفريقيا . . ذلك الإسلام الحركى
الذى كان بالنسبة للأفارقة الوقود الذى يندفعون به باحثين عن وجودهم
وحررتهم ، والحضارة التي يشعرون من خلالها بشخصيتهم واستقلالهم .

ومع أن بين النصرانية واليهودية حرباً تاريخية لم تهدأ إلا أخيراً فإن
المدش بن اليهود يتحدون - مرحلياً واستراتيجياً - ضد الإسلام الذى يوشك
أن ينتظم القارة الإفريقية كلها .

ومن تكرار القول أن نتحدث عن الصلة بين اليهود والنصارى -
أو بين إسرائيل والاستعمار - في العصر الحديث - ذلك لأن البحث يعود
بنا إلى نشأة الدولة اليهودية والظروف التي أحاطت بها . وهو بحث كثير
التشعب ، وليس هنا مجاله على كل حال ، غير أن دور إسرائيل في إفريقيا
إنما هو امتداد للمهمة التي أوجدها الاستعمار الصليبي من أجلها ، في الشرق
العربي ، وهذه المهمة هي عزل الشعوب العربية في آسيا عن الشعوب العربية
في أفريقيا (١) .

وفي ذلك ما فيه من إضعاف للسكان العربي في إفريقيا . الذي هو وسيلة
لإيجاد السكان الإسلامي الإفريقي ، وهو المدخل الطبيعي لإيجاد إفريقيا مدممة
عربية ، تحقق حلم أجدادنا المراتين من أحفاد عبد الله بن ياسين ، ويوسف
ابن تاشفين . . . هؤلاء الذين بذلوا دماءهم وأموالهم في سبيل أن تصح
إفريقيا قارة إسلامية .

ماذا يريد الغرب من هذه القارة التبشيرية على العالم الإسلامي ، وعلى
إفريقيا بخاصة ؟

إن النصرانية لا وجود لها في الشارع الغربي ولا في المصنع أو المعمل
أو المحكمة أو البنك . . . وحتى الكنيسة أصبحت مؤسسة اجتماعية تشبه مؤسسات
وزارات الشؤون الاجتماعية . لقد تركت أوروبا النصرانية منذ قامت نهضةها
الصناعية على أساس شعار القائل : « اشتقوا آخر إقطاعي بأمعاء آخر
قسيس » .

إن الإنسان الأوربي الحديث . . « والتركيبة » الفكرية والحياتية الأوربية
لا تعطى قضية الدين أي حجم حقيقي في صياغة الفكر أو الحياة . .

فما معنى هذا الذي يفعله المبشرون في إفريقيا ؟

(١) انظر : كامل الشريف المغامرة الإسرائيلية في إفريقيا ص ٦٢ .

وهؤلاء المبشرون أنفسهم ليسوا نموذجاً لدعواتهم التي يقدمونها إلى الناس . . فكثيراً ما غادر المشر جمعية إلى جمعية أخرى سعياً وراء الكسب المادى . . والمبشر « ولیم بلغراف » الإنجليزى تقلب من البروتستانتية إلى اليسوعية ، ولما استغنى عن اليسوعيين عاد بروتستانتياً . . وقد ذكر المفكر (جب) أنه قد ثبت على اليسوعيين أنهم فصحوا فتاتين من طائفة الأرثوذكس وأخفوهما حيناً ثم اضطروا إلى إعادتهما لأهلها . . ويهاجم (جب) نظام الأديرة كله . . ويقول : إن بعض هذه الأديرة كان مستقراً للفاحشة (١) . . .

فما معنى هذه الجيوش التبشيرية الداعية إلى النصرانية في إفريقيا؟
أليس الأولى بها أن تدعو الشيوعيين في المعسكر الشرقى إلى العودة إلى حظيرة الإيمان ؟ (بدل أن تتعاون مع الشيوعيين الملاحدة في كثير من الأحيان) .

أو ليس الأولى بها أن تدعو الأوربيين أنفسهم إلى إعطاء الدين حجماً أو زاوية مؤثرة في الحضارة الأوربية التي يهددها الإفلاس الروحى بالدمار؟
إن التبشير وهو كما ذكرنا أحد الأخطار الاستعمارية المحدقة بالمسلمين في إفريقيا اليوم — ليس دعوة إلى النصرانية . . بقدر ما هو إيقاف للزحف الإسلامى وتعكير لصفوه . . وتأخير ليوم تصبح فيه إفريقيا قارة إسلامية . . إنه أكبر سلاح يستعمله الأوربيون المستعمرون اليوم في هذه القارة للحيلولة دون تقدم القارة علمياً أو اقتصادياً أو سياسياً . .

إنهم يقدمون النصرانية كبش فداء . . ليس جبا فيها . . ولكن لأنها الدين الذى يملكونه . . والذى يمكن أن يقف — قليلاً — أمام الزحف الإسلامى .
إن المرء ليضحك وهو يتذكر أن « اللورد اللنبي » الذى كان قائد الفيالق الإنجليزية للقدس وصاحب الكلمة المشهورة : « الآن انتهت الحروب الصليبية » كان عضواً كبيراً في جمعية إلحادية .

(١) التبشير والاستعمار : د. عمر فروح ، ٣٥ ، ٣٦ .

وإيطاليا التي ناصبت الكنيسة العداء ، وحجزت البابا في الفاتيكان ، كانت تبني سياستها كلها على جهود المبشرين والرهبان . . . والذين زاروا إيطاليا يعرفون أنه على مقربة من الفاتيكان وحوله من الجهات الأربع تعيش إيطاليا حياة انحلالية بوهيمية لا مكان للدين فيها . . .

وأكثر مدعاة للدهشة من هذين المثالين موقف « ستالين » (زعيم الشيوعية الدولية) حين دعا إلى مجمع مسكوني في موسكو . . . وقد شرف ستالين نفسه المؤتمرين بمقابلته . . .

وفي الجزائر المجاهدة . . . جزائر المليون ونصف المليون شهيد - كانت فرنسا تترجم عن عملية صليبية حاكمة ضج منها الضمير العالمي (١) . . . ومع ذلك فليس للدين حجم حقيقي في داخل فرنسا . . .

- فما معنى هذا كله . . . ؟

- هل النصرانية مجرد بضاعة للتصدير ؟

- نعم إنها كذلك فعلا . . .

- إنها مجن واق من أخطار الزحف الإسلامي . . .

- إنها ستار يراد منه أن يمنع شمس الإسلام من الظهور . . .

- إنها تراث حضاري يرشح للوقوف في وجه تراث الإسلام وحضارته .

- إنها - في أقل حالاتها - صورة (دين) يمكن أن يحارب بها

(دين) آخر . . . حيث ثبت - تاريخيا - أنه لا يقف أمام الدين إلا الدين . . .

ولا يفيل الحديد إلا الحديد . . . والبقاء للأصلح في نهاية المطاف .

ولمزيد من الوضوح حول دور التبشير التخريبي في إفريقيا (وهو الدور الوحيد الذي رسم له) دعنا نسردها هذا الحوار الطريف الذي دار بين « لويس لومكس » الصحافي الأمريكي - في كتابه (الإفريقي النافر) - وبين « سيلونديكا » عضو اللجنة التنفيذية للحزب الديمقراطي في روديسيا الجنوبية سابقا . . .

(١) التبشير والاستعمار : د . عمر فروح ص ٣٥ ، ٣٦ .

سأله الصحافي الأمريكي قائلا :

هناك تقارير منتظمة تؤكد أن المسيحية تنحسر عن إفريقيا . . . هل هذا صحيح ؟

الزعيم الإفريقي : نعم صحيح . . . فالكنيسة لم تلعب دوراً سائياً في الشئون الإفريقية . . . لقد وقفت ضدنا إلى جانب هؤلاء الذين استعبدونا . . . إنها اليوم تقف على قدمها الأخيرة في إفريقيا . . .

- الصحافي الأمريكي : هل أنت مسيحي ؟

- الزعيم الإفريقي : نعم أنا كاثوليكي تعلمت في كلية « حاريان » في ناتال بجنوب إفريقيا . . . وأنا طبعاً لم أنضم للكنيسة لدوافع سياسية ، بل عن اعتقاد روحي . . . ورغم ذلك شعرت بأن الكنيسة خذلتني . . . إن الإسلام سينتصر في إفريقيا ، وبالرغم من أنني كاثوليكي إلا أنني أستطيع أن أقول مخلصاً : إنني آسف لتطور الأحداث (لصالح الإسلام) . . . إنني أفهم أن الدين يشكل جانبا حاسما من قيم الإنسان ، ومن ثم . . . يدفعه إلى الحرية . . . وهذا ما فشلت فيه الكنيسة . . . لقد أعطتنا كل شيء ما عدا الحرية « (١) .

إن التبشير - كما نرى من هذا الحديث الواضح - ليس أكثر من واجهة مزيفة من تلك الواجهات الكثيرة التي يخفي بها الاستعمار مخالبه الحقيقية وأطماعه ، وهو بهذا خطر حقيقي كبير بالنسبة لمستقبل أفريقيا المتحررة . . . وبالنسبة لمستقبل من يهمهم أمر الإسلام والتعريب في هذه القارة العذراء .

اليهود في أفريقيا :

وإن كان التبشير النصراني في إفريقيا يشكل جزءاً من ملامح الصورة القائمة التي تعكس صفو (الإسلام في إفريقيا اليوم) - فإن اليهود يشكلون بعداً آخر من أبعاد الجزء القائم في الصورة .

(١) نقلا عن الغزو الفكري . . . لعماد جلال كشك صفحة ٥٠ وانظر التبشير وجنوده التاريخية مقال بمجلة التضامن الإسلامي عدد أكتوبر ١٩٧٥ لعبد الحليم عويس . .

وبعد استقلال كثير من الدول الإفريقية ، دهمت إسرائيل تعرض حبره اليهود في العالم وأموالهم لمساعدة هذه الدول .

واليهود عن طريق العلاقات السياسية والتجارية واستغلال الإعلام والدبلوماسية المرنة - يحققون أغراضهم في كسب بعض الحكام الأفارقة ، لدرجة أن جريدة نيجيرية كتبت بتاريخ ١٣ أكتوبر ١٩٦٢ تقول بأن أية دولة في الشرق أو إفريقية لا تستطيع مساعدة نيجيريا ماعدا إسرائيل .

وثمة تعاون قائم بين إسرائيل وبعض الحكام الأفارقة - إن لم يكن بشكل سافر سياسي أو إعلامي أو عسكري أو ثقافي - فهو بشكل سري ، وبخاصة في المجالات التجارية والثقافية .

ولئن كانت بعض الدول الإفريقية قد غيرت موقفها من إسرائيل بعد ظهور طابعها الاستعماري وهزيمتها في حرب رمضان ١٣٩٣ هـ . فإن دولا أخرى لا تزال تربط نفسها بإسرائيل . . ومنها أثيوبيا وغانا وروديسيا وتنزانيا . . وإسرائيل تستغل الوضع الاقتصادي الإفريقي المتخلف ، وتقوم بتعليب كثير من اللحوم والفواكه وغيرها من المواد الإفريقية الخام كما تستورد الخشب والماس ومواد السجاد . « ولقد اهتم الإسرائيليون اهتماما خاصا بإقامة الفنادق وأماكن اللهو وسيطروا عليها إداريا ، وسخروها لأغراضهم السياسية والاقتصادية ، وكان يحتج وراء مظهرهم البريء شر أنواع النشاط السري المخرب» (١) . إن إسرائيل لن تترك إفريقيا للعرب والإسلام بسهولة . كما أن المد الحضاري لا ينتشر بالعواطف والمجاملات . وبالتالي فيجب أن نخطط بحذيرة ونجاء لضمان إنقاذ إفريقيا من اليهود والصهيونية ، وسيرها في ركاب حضارة الإسلام .

الشيوعية في إفريقيا :

تمثل الشيوعية خطراً داهماً بالنسبة للإسلام في إفريقيا - يسىء إلى ملامح صورة الإسلام في إفريقيا اليوم .

(١) كامل الشريف : المغامرة الإسرائيلية على أفريقيا منحة ١١٦ ، ١١٧ .

فإفريقية المسلمة . : قارة المستقل الإسلامي . . تغزوها الشيوعية في بعض أركانها ، وذلك حين يبدو أن التبشير لن يستطيع الصمود أمام الإسلام ، وحين يبدو أن النفوذ اليهودي لا يستطيع القيام بالغرض - وإن ما حدث في أثيوبيا - بعد « هيلاسلاسي » الذي لم يتمكن من عمل كل شيء وبخاصة القضاء على مسلمي أرتيريا - للدليل ناصح على أن الشيوعية هي البديل الثالث الذي يتقدم به اليهود والتبشير ، حين يبدو لهم أن الطريق للقضاء على الإسلام مسدود . ولسنا نفصل ما جرى في الصومال عما جرى في أثيوبيا ، كما لا نفصل ما جرى في تانانيا (زنجبار وتنجانيقا) حين قتل عشرات الألوف من العرب والمسلمين - باسم التقدمية الشيوعية(١)- واعترف بإسرائيل ودعيت « جولدا مائير » لزيارة تانانيا - لسنا نفصل كل ذلك عن حقيقة الدور الذي تلعبه الشيوعية في إفريقيا .

وإنه للدعاة للتساؤل أن يكون أكثر الزعماء الشيوعيين الذين ظهروا في إفريقيا ذوى علاقة طيبة بإسرائيل . وكان أكثرهم ينظر إلى إسرائيل على أنها تجربة تقدمية يجب أن يحتذى بها - والنظر إلى انتصارها على العرب على أنه انتصار للتقدمية على الرجعية(٢) .

فالشيوعية عائق من المد الإسلامي في إفريقيا ، وهي عنصر من ملامح الجزء القاتم الذي يعكر صفو إفريقيا اليوم .

مكانة الأمة العربية في إفريقيا اليوم :

تختلف الوضعية الإفريقية الشعبية عن الوضعية الإفريقية الرسمية أو الوضعية التي يريد التبشير واليهود أن يصلوا إليها .

فالحقيقة أن القاعدة الشعبية في إفريقيا ما زالت إلى حد كبير . . تنتمي إلى العربية . . لغة وفكراً . . وإلى الإسلام ديناً وحضارة .

(١) انظر محمود شاكر : تانانيا صفحة ٣٤ .

(٢) انظر كامل الشريف : المفارقة الإسرائيلية صفحة ٩٤ وما بعدها .

وإذا ما استثنينا البلدان العربية الإفريقية (مصر والسودان والجزائر
والغرب وليبيا وتونس والصومال وموريتانيا) نظراً لأن العربية هي اللغة
الرسمية فيها - فإن بقية البلدان الإفريقية - وبخاصة الإسلامية منها - تعتبر
اللغة العربية لغتها الدينية والفكرية والحضارية على الأقل ، على المستوى
الشعبي . .

في الحبشة ، حيث يمثل المسلمون ٦٥٪ وفي أريتريا ، حيث يمثل
المسلمون ٨٠٪ نستطيع أن نقول : إن اللغة العربية هناك هي إحدى اللغات
المعروفة لأغلب السكان ، ويمكن التعامل بها في الأسواق ، فضلاً عن دور
العلم والمساجد . وعند مقارنة اللغة (التجريبية) المستعملة في أريتريا كلغة
محلية ، سوف نكتشف أنها اقتبست كثيراً من اللغة العربية ، حتى إن الأعداد
المستعملة فيهما تبدو وكأنها شيء واحد (١) .

وفي كينيا حيث العراقة الإفريقية الأصيلة ، وحيث تسود اللغة الساحلية
وتجاورها لغات كثيرة تزيد على سبعين لغة ، فلكل قبيلة لغة خاصة تشبه
اللهجة ومع ذلك فإن العربية تحتل مكاناً بارزاً بحيث إن اللغة الساحلية هذه
تعتمد في حوالي خمسين في المائة من كلماتها على العربية إما أصلاً ، وإما
اشتقاقاً ، ولهذا فلم يكن غريباً أن تقرر وزارة المعارف الكينية مؤخراً تدريس
اللغة العربية رسمياً بمدارس الساحل الكيني ، كما أنها أقرت اختبار الطلاب
رسمياً في مادة الدين ، وقد أبدت استعدادها لقبول أكبر عدد ممكن من
المدرسين للغة العربية والدين الإسلامي ، شريطة أن تتكفل الحكومات العربية
بالتكاليف والمرتببات (على نحو ما يفعل المبشرون) (٢) .

وفي أوغندا يتكلم الناس لغة ساحلية خاصة بهم تختلف عن ساحلية كينيا ،
وهي مزيج من لهجات « البانتو » مع اللغة العربية (٣) .

(١) راجع محمد العبودي : في أفريقيا الخضراء صفحة ٩١ وما بعدها وانظر
صفحة ١٥٨ و صفحة ١٨٦ ، ١٨٣ عن العربية في الحبشة .

(٢) المرجع السابق صفحة ٣٦١٢ .

(٣) انظر تقرير رابطة العالم الإسلامي بالملكة العربية السعودية المنشور بالصحف
المحلية (عن كينيا) في السعودية .

رمع أهما ساحلية أوغندية خاصة ، فإنها تكتب بالأبجدية العربية ، مما يدل على التأثير القوي للغة العربية في أوغندا ، هذا فضلا عن أن المسلمين في أوغندا (وهم قريبا سيشكلون الأغلبية السكانية إن شاء الله - نظراً للمد الإسلامي على عهد الرئيس « عيدي أمين » - يحرصون جميعاً على تعلم اللغة العربية (١) .

وهكذا - نستطيع القول (من خلال هذه النماذج) : إن اللغة العربية أرضية كبيرة في إفريقية منذ دخلت في ركاب الدعاة والتجار المسلمين وأصبحت لغة الأدب والعلم والتعامل ، ويكنى - في نهاية حديثنا عن اللغة العربية في إفريقيا - أن ندلل على عمق هذه اللغة ، فنذكر أن أهم المراجع التاريخية « كأضابير أشانتي » « وكانو » في إفريقية الغربية ، ومحفوظات « كلوة » في إفريقيا الشرقية أكثرها باللغة العربية ، حتى قال بعض الكتاب الأوروبيين معبراً عن معنى ارتباط إفريقية بالعربية لغة وحضارة : « إننا إذا زعنا الوثائق التاريخية المكتوبة باللغة العربية لا يبقى ثمة تاريخ يعتد به لإفريقيا السوداء » .

وقد قال أحد وزراء زنجبار في ذلك : « يكنى للتدليل على مكانة لغة العرب بالنسبة لإفريقيا أن نعلم أنه لا يوجد في اللغة السواحلية كلمة مرادفة لكلمة تحضير أو تمدن سوى كلمة « تعريب » ، فإذا أردنا أن نتحدث عن مشروع لتطوير قرية زراعية قلنا : تعريب تلك القرية » . وهذه الكلمة الواحدة تصلح نافذة عريضة على تاريخ مجيد طويل (٢) .. إنه تاريخ علاقة إفريقيا بالعرب حضارة ولغة ومصيرا ودينا .

الإسلام في إفريقيا اليوم :

ليس ثمة شك في أن الإسلام في إفريقيا يعيش اليوم بين مد وجزر . . أو بتعبير آخر : بين (محنة ومنحة) .

(١) انظر محمود شاكر : أوغندا صفحة ٤٨ .

(٢) انظر (بتصرف) كامل الشريف : المغامرة الإسرائيلية في أفريقيا صفحة

١٧٠ وما بعدها .

(وحملة الإسلام) في إفريقيا تركز في عدة مواطن منها

أولاً : في جنوب السودان . . . فهذا المدخل الطبيعي الذي كان بالإمكان أن يصبح إحدى بوابات الإسلام إلى إفريقيا - قد أصبح مسرحاً لنفوذ المبشرين ، وللموالين لهم ممن يجاورون السودان .

فبعد الاتفاق الذي تم بين الشمال والجنوب في مؤتمر « أديس أبابا » الذي عقد في مارس ١٩٧٢ بإشراف المنظمات الكنسية والفاتيكان . ففتح الباب على مصراعيه للمبشرين . وبقيني الجازم أن المبشرين سيتمكنون من إقامة دولة مسيحية في جنوب السودان تكون إحدى منطلقاتهم لقلب إفريقيا - وذلك ما لم ينهض العرب لدرء هذا الخطر .

كما أن التبشير قد نجح من وراء هذه الاتفاقية في قهر الحركات الإسلامية في أرتيريا وتشاد . . فهاتان الثورتان تعيشان منذ الاتفاقية مرحلة اختناق حاد مرير .

ثانياً : في الصومال . . حين وقع الانقلاب العسكري الشيوعي في ٢١ أكتوبر . ولم يكد يمر عام حتى أعلن قائد الانقلاب محمد زياد بري في عيد الانقلاب الأول - اعتناقه وحكومته للمبدأ الماركسي اللينيني . وتفسير الإسلام تفسيراً ماركسياً . . وإخضاع عقيدة الإسلام وأصوله للماركسية ، وتبع ذلك استحداث تنظيمات ومعاهد همها إنشاء شبيبة شيوعية ترفض الإسلام وتعلن الحرب عليه - كما أصدرت الحكومة مرسوماً في سنة ١٩٧٢ يقضى بهدم كل المدارس القرآنية . واستمر الحال على هذا المنوال . . حيث ترحف الشيوعية في كل يوم على أجساد مئات العلماء وآلاف المجاهدين ، مستعملة أبشع وسائل التنكيل التي عرفها التاريخ .

وكما هو المتوقع فإن الحكومة الشيوعية في الصومال تعوق - من جانبها وفي حدود تأثيرها - كل مد إسلامي إلى إفريقيا . . وتتبنى بديلاً عنه كل ما هو ماركسي ويخدم مصالح أصحاب المذهبية الماركسية . وإنني من جراء هذا لأعتقد بأن الماركسية هي الخط الأول الآن لتحقيق كل أهداف الصهيونية

والتبشير ، وهى الممهّد الحقيقى لاستيلائها على أرض الإسلام - لا قدر الله .

ثالثاً : فى تنزانيا ،

فمنذ وقع انقلاب ١٩٦٤ م وخلق السيد « جلمشيد بن عبد الله » . . .
ومنذ قتل فى ساعات محدودة (ستة عشر ألفاً عرب) ، كما لى سائر
المسلمين شتى أنواع التعذيب ، ولتى ٥٤ ألفاً حتفهم .

منذ هذا اليوم الذى تبعه زوال شخصية بلد إسلامى عزيز هو (زنجبار)
حرسبها الله - أصبحت كلمة الإسلام - وأصبح العرب واللغة العربية -
جرأئم يحاسب عليها القانون . . . والمجال لا يتسع لتتبع صور اضطهاد الإسلام
والعروبة فى تنزانيا . .

رابعاً : فى تشاد ،

وفى تشاد حيث تصل نسبة المسلمين فى بعض المصادر إلى ٩٢ ٪
(وليس لهم فى الحكم إلا ٢٠ ٪ فقط من المقاعد الوزارية) - تتعرض الجماهير
المؤمنة - والشخصيات الإسلامية - لاضطهادات متلاحقة ، كما يتعرض
المسلمون جميعاً لضغوط الضرائب والاعتقالات والحرمان من الحقوق
السياسية والدينية والاجتماعية والثقافية .

وقد فشلت انتفاضة المسلمين ضد أنواع المظالم المهددة بهم فى سنة
١٩٦٥ م - فكانت انتفاضتهم الفاشلة باباً جديداً فتح عليهم أبواب التنكيل
والتعذيب ، لدرجة استجلاب قوات فرنسية لإبادتهم ، مع ملاحظة أن
نسبة الحاكمن المسيحيين لا تعدو (٤ ٪) من السكان .

والشعب التشادى المسلم بقيادة جبهة التحرير الوطنى التشادى التى
تأسست سنة ١٩٦٦ م - لا زال يكافح لإعادة الأوضاع إلى نصابها -
وفقاً لما يتشدد به المسيحيون كذباً - حول حقوق الناس والأغلبية فى
الديمقراطية والحرية والوصول إلى الحكم . .

السكن الحقيقية الثابتة أن الديمقراطية يحاربها النصرانى أنفسهم إذا كانت
لمصلحة الإسلام . .

خامساً : أما أثيوبيا . . . ومأساة المسلمين في أرتيريا . . .

فالمسلمون - هناك - محرومون من أبسط الحقوق الإنسانية .

فبقرارات رسمية يمنع دخول المدرسين المسلمين إلى أثيوبيا وأرتيريا ، وتفرض رسوم جمركية عالية على الكتب الإسلامية ، ويلاحق الإسلاميون لإسلامهم ويزج بهم في السجون ، ولا يعترف لهم بشهادتهم التي حصلوا عليها من المدارس الإسلامية .

وقد ألغيت اللغة العربية . . . في المدارس . . . وفي المصالح والمؤسسات الحكومية . وتلجأ الحكومة إلى بث جاسوسية محكمة حول المسلمين ، والشخصيات الإسلامية المثقفة . . . سواء من هم من الوطنيين أو من هم من الوافدين - لضمان وأدها للإسلام واللغة العربية . . . كما أنها تحرص حرصاً شديداً على إبعاد المسلمين عن الدوائر الحكومية ، وتشجيع « البغايا » على الهجرة والانتشار في المدن الإسلامية على امتداد أثيوبيا وأرتيريا . . . بل إن الحكومة لتفرض مجرد إقامة علاقات دبلوماسية مع الدول التي تشعر بتمسكها بالإسلام ، وترفض السماح للطلاب الأرتريين والأثيوبيين بقبول المنح التي تقدم لهم من بعض الدول الإسلامية ، وتبذل - إلى جانب ذلك - تسهيلات ضخمة لكل الحركات المعادية للإسلام شيوعية أو صهيونية أو تبشيرية ، كما أنها تفرض على المسلمين الجهل والفقر والمرض .

وهناك محن أخرى كثيرة تحيط بالمسلمين الأفارقة . . . لكننا لسنا بسبيل الحصر . . . وحسبنا هذا من صور التحدي للإسلام في إفريقيا المجاهدة .

بيد أن هناك (منحاً) كثيرة ، ونوافذ فسيحة للأمل في إسلامية إفريقية .

فإن الاستعمار والتبشير بأسلوبهما الهمجي قد ساعدا المد الإسلامي من حيث لا يشعرون ، كما أن الشعوب الإفريقية قد بدأت تعرف حقيقة الماركسية والصهيونية وأسلوب الحياة في ظلها ، وحقيقة أطماعهما ، وقد ساعد على ذلك سقوط أسطورة إسرائيل التي لا تقهر في حرب رمضان

. ٨ ١٣٩٣

إن كينيا قد بدأت سياستها تميل نحو الاعتدال ، فيما يتعلق بالحقوق الإسلامية . . وهذا مكسب ممتاز .

وقد أصبح المجال لنشر الإسلام في أوغندا في أحسن صوره الممكنة ، وحبذا لو استغلته الدول العربية المهمة بالإسلام .

والسنغال قد بدأت تأخذ موقفا معتدلا أيضا من القضايا الإسلامية .

وقد عقد في عاصمتها داكار - بتسهيلات كبيرة من حكومة السنغال - مؤتمر رابطة العالم الإسلامي الإفريقي الثاني (محرم ١٣٩٧ هـ) الذي انبثق عنه تكوين مجلس التنسيق الإسلامي الإفريقي .

وقد تكرمت حكومة السنغال فتمتحت أعضاء رابطة العالم الإسلامي كل الامتيازات والحصانات الدبلوماسية .

وجمهورية إفريقيا الوسطى قد أعلن رئيسها « بوكاسا » أنه ، وفريق من وزرائه ، وستون من كبار الشخصيات - إسلامهم ، ففتح الباب للإسلام في هذه الجمهورية الفتية .

ومثل إفريقية الوسطى : الجابون التي أسلم رئيسها وأدى فريضة الحج . ويجب ألا نغفل من ملامح الصورة أن بعض الدول الإفريقية التي حصلت على استقلالها قد أفادت الإسلام ولغة القرآن . وأكبر مثل على ذلك هو الجزائر المسلمة العربية . . جزائر عبد الحميد بن باديس التي نتمنى أن تلعب دوراً قيادياً في الدعوة إلى الإسلام وفي نشر اللغة العربية في إفريقيا .

كما أن من الواجب - إحقاقاً للحق - أن نذكر بالخير الجهود التي قامت بها حكومة الجمهورية العربية الليبية في مساندة مسلمي إفريقيا والمدافعة عن قضاياهم .

إنه الراعي - ربها - تشكل الجزء الكبير المنير ، المصهد لجعل إفريقيا قارة إسلامية عربية بإذن الله .

مستقبل الإسلام في إفريقيا :

من بين عوامل الإيجاب والسلب المتضاربة . . ومن خلال ملامح الصورة بشطريها الأبيض والداكن . . ووسط تراث حضارى أصيل أعطى إفريقيا لونها الإسلامى على امتداد القرون التى سبقت مرحلة الاستعمار الأوروبى . .

من بين كل هذا - وعبراً من تراث الماضى إلى آلام الحاضر وآفاق المستقبل - نستطيع القول بموضوعية محايدة :

إن مستقبل القارة الإفريقية هو مستقبل إسلامى يتكىء على العربية لغة وفكرآ . . ويستمد من الإسلام عقيدة وشريعة وحضارة منطلقاته ، ومناهج فضاله ، ومعالم مستقبله الحضارى المتميز الأصيل .

ولعل من حسن حظنا نحن الذين سنعمر - إن شاء الله - عتبات القرن الخامس عشر للهجرة . . وربما عتبات القرن الحادى والعشرين للميلاد . . ولعله من حسن حظنا أننا ذلك الجيل الذى سيودع عصر الديكتاتورية الفريدة المستبدة الطاغية فى عصر الثورة التكنولوجية . .

لقد آن للتاريخ أن يدور دورة أخرى يكون للشعوب فيها الدور الحقيقى البطولى ، وتنتهى مرحلة الطغاة الذين تعودوا أن يقودوا مئات الملايين بقرار أو بشعار . .

إن مرحلة الفوغائية واستعباد الطغاة للشعوب سوف تنهى . .

هكذا يقول معلمنا التاريخ . وقد بدأ جليدها يذوب فى جناحى المعسكر الإلخادى لأثر سقوط بعض الطغاة . .

وعندما يقف التاريخ على باب منعطفه - فإن شعوب إفريقيا - وليس عملاء الاستعمار التبشيرى ، وليس عملاء الشيوعية ، وليس عملاء اليهودية .

إن شعوب إفريقيا وحدها وليس كل هؤلاء هم الذين سيقرون مصير هذه القارة المحاهدة العذراء . .

وبالتأكيد فإن العطرة الإفريقية المنبثقة من أعماق التراب والتاريخ لن ترضى بغير الإسلام بديلاً . فمضى الإسلام في إفريقيا هو حضارتها التي تزدهر بها . . وما أسدى الإسلام لها غير الخير . . وما كان دعائه غير مجاهدين يتوجهون بعملهم لوجه الله . ولم يكونوا يوماً ما مستعمرين مستغلين . وأما حاضر الإسلام في إفريقيا . . فهو كحاضر الإسلام في كل بلدان الإسلام ، حيث يتعرض هذا الدين - كما ذكرنا - لهجمة استعمارية شرسة ، نظراً لأنه الدين المرشح لقيادة حضارة المستقبل . . وأما المستقبل ، فلا يمكن أن يكون أوربياً أو نصرانياً . . فتاريخ إفريقيا مع أوربا أو النصرانية لا يسمح بإقامة روابط حقيقية .

على أننا نحن العرب الإفريقيين المسلمين . . ونحن المسلمين في كل مكان ، يجب أن نساعد التاريخ على السير بإفريقيا إلى شاطئ المستقبل الإسلامي . فالتاريخ البشري لا يتحرك آلياً أو عفوية ، وهو لا يسير باطراد في اتجاه الأصلاح ، إذ يساعده الصالحون في الأرض . .

وإنني أقدم للقيام بهذا الواجب المقترحات الآتية :

١ - توجيه إذاعة لأفريقيا في كل بلد عربي مسلم . تتكلم اللغة الشائعة مع الاقرب ما أمكن من العربية ، ومع ضرورة إيصالها واضحة لأعماق إفريقيا .

٢ - إقامة سفارات وعلاقات ثقافية واقتصادية طيبة مع البلدان الإفريقية كلها ، ولو كان ذلك على حساب بعض التجاوزات عن الآراء السياسية المرحلية .

٣ - تبليغ صوت المسلمين الأفارقة إلى العالم ، وتبني قضاياهم وحقوقهم الإنسانية في تعلم دينهم ولغتهم العربية ، والوقوف ضد الدول التي تحرمهم من هذه الحقوق (فمثلاً . . حكومة أثيوبيا تحرمهم من إقامة المدارس الإسلامية ومن تعلم الدين الإسلامي . . وتعتبر ذلك عملاً غير مشروع) .

٤ - رصد ميزانية خاصة للمعونة الاقتصادية لمسلمي إفريقيا ، وذلك

لمساعدتهم على إقامة مساجد ومدارس ومستشفيات ودور لرعاية المعوزين والعاجزين واليتامى والأرامل حتى يتمكنوا من الاستغناء عن مساعدات التبشير المسيحي ، ومن القضاء على الموبقات الأخلاقية التي يدفع إليها الفقر ، (فالزنا في أرتيريا - مثلاً على . . حيث يجلس النسوة في مصوع أمام البيوت ، وينمن بالليل أمامها في انتظار الساقطين) (١) .

٥ - مناشدة الحكومات الإسلامية في البلدان العربية الإفريقية بمنع الزنا والحمور - منعاً رسمياً - وعدم التصريح بقانونية هاتين الجريمتين . . حتى تكون هذه الدول مثلاً حياً لإفريقيا المسلمة غير العربية . . فالحقيقة أن الفساد الأخلاقي من الوسائل التي يعتمد عليها التبشير والصهيونية والشيوعية في استعباد الشعوب وقهرها .

٦ - استغلال الظروف المتاحة - ولو مرحلياً - أحسن استغلال لتوطيد أركان الإسلام والعربية في بعض البلدان الإفريقية التي تقيم علاقات قوية هذه الأيام مع العالم العربي . . كأوغندا والجابون والسنغال وتشاد ونيجيريا وجمهورية إفريقيا الوسطى . . . وغيرها .

٧ - العمل على إذابة الفوارق بين المذاهب الإسلامية المعترف بها ، وجلاء وحدة الدين الإسلامي في أصوله . . ففي بعض البلدان الإفريقية تنتشر - للأسف الشديد - موجة التعصب المذهبي للدرجة أن بعض الطوائف تخصص مساجد لها ، فتكتب على المسجد مثلاً : (مسجد الشافعية ، أو مسجد الحنفية) وهكذا . . .

٨ - نشر الإسلام الصحيح والثقافة الإسلامية الأصيلة - بالكتب والأساتذة والنشرات والدوريات بلغات إفريقيا - فالمسلمون الأفارقة في أغلبهم جهلة لا يعرفون أبجديات الإسلام ، بل بعضهم يخاطب بين الإسلام والمسيحية ، حتى في الاسم ، فيتسمون : « هنرى محمد ، وجيمس على » ،

(١) انظر محمد العبودي : في أفريقيا الخضراء صفحة ٨٢ وانظر ٨٧ و١٧٢ .

بل إن بعض الأطفال المسلمين والشيوخ لا يعرفون معنى الإسلام ، ولا يعرفون أنهم مسلمون . وبعض المدارس الإفريقية الإسلامية تخلو من مدرس واحد للإسلام والعربية ، كما أن بعضها أغلق بعد بنائه لعدم وجود المدرسين المتخصصين في الإسلام والعربية .

٩ - دراسة اللغات الإفريقية واللغتين الإنجليزية والفرنسية في المعاهد والجامعات الإسلامية ، وبخاصة معاهد إعداد الدعاة .

١٠ - مساواة الماركسية بالصهيونية والتبشير ، وإعلان الحرب على كل هذه المبادئ الهدامة التي تحارب الإسلام في إفريقيا « فالكفر ملء واحدة » وقد فعلت الماركسية بالإسلام في أثيوبيا والصومال وتنزانيا وغيرها ما لم يجرؤ الاستعمار على فعله ، وقد أوقف الشيوعيون المد الإسلامي في كل بلد إفريقي سيطروا عليه .

١١ - ولا نستطيع أن نحكى أن حركة القومية العربية كفكرة عنصرية متخلفة عن الإسلام ، قد أساءت كثيراً إلى الصورة الإسلامية في إفريقيا . وبالتالي فالولاء للإسلام وللمستقبل الإسلامي لإفريقيا يقتضى التخلي عن هذه النعرة الجاهلية .

١٢ - وأخيراً . . . فإن أوضاع العالم العربي والإسلامي ، والخلافات السياسية والفكرية القائمة بين بعض حكوماته ، وتخلي كثير من القيادات عن الإسلام منهجا ورسالة إلى البشرية ، والاعتماد على الفكر المادي أو العلماني أو القومي . . فضلا عن انحطاط المستوى الفكري والخلقي والاقتصادي والسياسي داخل المجتمعات الإسلامية . . .

كل هذا لعب دوراً في زحف الأفكار المضادة للإسلام على إفريقيا ، وفي بقاء التقدم الإسلامي . . إذ أن فاقد الشيء لا يستطيع أن يعطيه . . . وتقدم النموذج العملي لا يقل عن الاستيعاب النظري .

وإن واجبنا نحن المخلصين لقضية الإسلام أن نناشد القيادات العربية والإسلامية في أن تتجه إلى الإسلام داخليا وخارجيا . ففي ذلك ازدهارنا داخليا ، وتقديمنا النموذج الصالح الملائم لمبادئ ديننا خارجياً . . . وصدق القرآن :

(كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) (١) .

هذا طريقنا . . .

ورسالتنا . . .

ومستقبلنا . . .

(هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، ولو كره المشركون) (٢) .

(١) آل عمران ١١٠ .

(٢) الصف ٩ .

المأحة الثانية

العالم الإسلامي... وقضية الحرية

الحرية . . كانت بداية كل نهضة . .

وهي البداية الصحيحة للعالم الإسلامي

هل رأينا زهرة تفتحت أكمالها ، وأعطت الحياة
شذى طيبا ولونا بهيجا ، بينما هي خارج نطاق الطبيعة . .
حبيسة . . لا تنفس في هواء صحيح ؟

تلك هي الحقيقة الفطرية التي تمارى كثير من
النظم السياسية في الاعتراف بها . .

لكن لماذا؟ . . .

لماذا يصبر بعض الحكام ، وتصر بعض الأنظمة،
على تحويل الوطن إلى سجن كبير لا يتفياً الناس فيه ظلال
الحياة ، ولا يتنفسون في الهواء الصحيح . . لماذا ؟

الاحتمال الظاهر أن تكوين هؤلاء الحكام أو هذه النظم هو تكوين
إرهابي . وأن هذه النظم وهؤلاء الحكام قاصرو النظر ، فاسدو المزاج ،
لا يملكون الوعي التاريخي ، ولا الرؤية الحقيقية . . أي إنهم - بإيجاز -
جهلاء سذج . . فقط !!

والاحتمال الثاني . . الأكثر بعداً عن طيبة القلب ، وسلامة النية ،
وسداجة التفكير . . هو أن هؤلاء الحكام . . ظلمة . . لإرهابيون . . .
وهم يعلمون أن الحرية - كقانون يعطى كل مواطن حق القول ، وحق
النقد - سوف تحد من ظلمهم ، وربما قضت عليهم وسوف تكبح جماح
طغيانهم وإرهابهم ، وسوف تمنع أيديهم من سرقة قوت الأمة ، والمغامرة
بمخاضها ومستقبلها في نزوات مضمونة الخسارة في أغلب الأحيان . . .

أى إنهم - بإيجاز - يخافون من الحرية على أنفسهم فقط . . باعتبار أنهم ظالمة !!

والاحتمال الثالث . . الأكثر وعياً بحركة التاريخ هو أن هؤلاء الحكام هدامون يقتلون في أمهم إرادة الحياة ليجعلوها تتعود الذل وتستعذب الإرهاب ، وتمرن على القهر والاضحاء .

أى إنهم في الحقيقة يمهدون الأرض والنفوس لأى استعباد خارجي يطرأ . . وقد يما وعى الشاعر العربي البسيط هذه الحقيقة حين قال بيته المشهور :

لا أذود الطير عن شجر قد بلوت المسر من ثمره

هل يدافع السجناء عن مجرمهم أو مجانينهم ؟

هل يدافع العبد عن سيده الذى أرقه بسياطه ؟

هل يدافع القتيل عن قاتله ؟

إن غوستاف لوبون يضرب لنا مثلاً رائداً في هذا الباب حين يقول :
« وكلما كانت جيوش الثورة الفرنسية ، وهى ماضية في غزوها تصطدم بأمم أذلها الطغاة المستبدون ، ولم يكن لها خيال تذب عنه كان النصر حليفها أما حين تصطدم بأقوام معهم حرية ولهم خيال . . فقد كان يتعذر عليها الفوز والانتصار . »

. . . نعم . . . هكذا أثبت التاريخ أن السجن المقهور لا يدافع عن مجرمه . وأن الفوز والانتصار حليفان للشعور بالذات . . ولعل هذا - وكما أثبت التاريخ كذلك - هو سر تفوق الشعوب الحرة ، وانتصارها ، وتقدمها .

ولعله سر تسمح الناس - كل الناس - في الحرية والديموقراطية ، حتى تلك الأنظمة المعادية - كل العداة - للحرية . . نعم حتى هذه الأنظمة تسمى نفسها أنظمة ديموقراطية وترفع شعار « الحرية » !!

وليس من التكلف القول بأن أهمية الحرية في خلق الطاقات المبدعة . وتوجيهها في طريق بناء الأمم والدور الحاسم الذى تلعبه ، هو الذى يجعل

الاستعمار يحرص على أن يخلفه حكام إرهابيون وأنظمة إرهابية بتخترع لها
- هو - شعارات معادية له . . لكي تقتل باسمها الحرية . . ولكي تقوم
بتحقيق ما عجز الاستعمار عن فعله - باعتباره قوة خارجية تواجه بتحد صريح
- من وأد الشعوب وقتل طاقاتها ، ومن ضرب كل العناصر الإيجابية فيها !
أى إن هؤلاء الحكام - بإيجاز شديد يقتلون الثرى الإيجابية التي عجز
الاستعمار عن قتلها !!

• • •

والاحتمالات كلها صحيحة ، وهي كلها قد تجتمع ، وقد تفرق ،
لكن اجتماعها أو افتراقها لا يبرران الركون للظلم ، لأن النتيجة واحدة ،
ولأن الضحايا في نهاية الأمر هي الشعوب .

الشعوب المسكينة التي حرمت حقها في الحياة . . حين حرمت حريتها .
ولئن كان الوطن هو المكان الذي يتاح للإنسان فيه الاستقرار والسلام
والعيش ، فإذا لم يشعر الناس بشيء من ذلك يفاء على سعيهم الحثيث وكدم
الدائب فإن إحساسهم بالوطن يتضاءل وبدوى بينما ينمو شعور آخر بأنهم
غرباء في هذه الأرض وضيوف عليها بل وشعور آخر أكثر سوءاً إذ يجدون
جهدهم يضيع وعناءهم يتبدد في وطن لا يكافئهم ولا يراحم حقوقهم
وغاياتهم فتفصم كل عرى الولاء والحب التي كانت في نفس الجماعة لأرضها
ووطنها وترحب بكل طارق ومغير يقرع أبواب بلادها !!

• • •

• الحرية هي الحياة ، لأن الحياة بلا حرية هي دولا ب آلى
لا إحساس له !!

• والحرية هي الإنسانية ، لأن الإنسانية بلا حرية هي حيوانية بهيمية !!
• والحرية هي الوطنية . . لأن الوطن بلا حرية يحن ككثير يهرب منه
أبنائه !!

• والحرية هي التقدم والإبداع . . لأن العبيد لا يقدر على صنع
المستقبل ولأنهم لا مستقبل لهم !!

وتلك هي أهمية الحرية ، ومن هنا تنبع خطورتها !!

الحرية ك مفهوم سيامي :

من البديهي أن تطور الأحداث المتعلقة بمضمون معين هي التي تحدد الهوية الحقيقية لهذا المضمون ، ذلك لأننا لا نستطيع فصل الأشياء عن الكلمات كما أننا لا نستطيع برّ التصورات التاريخية عن المصطلح التاريخي . إن اللغة ليست كما يتصور البعض مجرد تجريد ذهني . إنها تعبير مرتبط بالشيء لا يفصل عنه ، وحين يفصل الشيء عن اللغة . . تصبح اللغة مجرد نغمات صوتية ، أو إيقاعات مجنونة يستوى فيها حنجرة الإنسان والحيوان وفرقة الجمادات .

ومن الحتم عند تدبّر مصطلح التعرف على الدلالات المختلفة التي استعمل فيها . وأدوار الاستعمال التاريخية التي مر بها . . .

ومصطلح ك مصطلح الحرية . . لا بد فيه من تحقق كل هذه الأبعاد . لكي يوضع في مكانه السليم . . ولكي ترحح الغيوم التي من الممكن أن تكون قد تراكت على جانبيه عبر مسيرته في التاريخ .

يرى البعض أن الحرية هي حرية المعارضة . . حرية أن أرفض أو أقبل . .

ويرى البعض أن الحرية هي « غياب المعارضة » بالنسبة للشخص ، أي أننا نشعر بحريتنا حين نحس بأن أحداً لا يراقب سلوكنا ، ولا يحد من قدراتنا التصرفية . . . ومن هنا أطلقوا على النظم الإرهابية بأنها النظم المطلقة . . أي الحرة التصرف في الجماهير وفق هواها . .

ولاتعارض بين الدالتين .. لأنهما في الحقيقة يكمل بعضهما البعض .. فحرية هذا في أن يقول . . هي نفسها حرية ذلك في أن يعترض . . أي أن يقول رأياً آخر . .

المهم ألا يستعمل أحدهما وسائل خارجية بعيدة عن « القول » لكي يمنع الآخر من القول كما يشاء !!

وفي هذه الحال تبدو قضية الشعور لا قيمة لها . . . فشعورك باللاحرية لأن أحداً من حقه أن يعترض على قولك هو أنانية ذاتية تريد الاعتداء على حق الغير في أن يقول . . . مثلما أخذت أنت حق القول ابتداء .

من حق الجهاز الحاكم أن يقول . . . أن يدافع عن آرائه ومشاريعه . . . لكن ما دام الأمر سيتعلق بي أنا المواطن العادي . . . فمن حقي أن أعترض على قوله . . .

نعم : من حقه القول . . . ومن حقي القول . . . لكن أن يفعل ابتداء ، أو أن يمنعني من حق القول ، فهذه هي الاستغلالية ، والعبودية ، وإساءة التصرف في حريتي !!

إن الحرية لا تعني فقدان الضوابط بل تعني انسجام الضوابط وتوازنها ، بحيث لا تكون الضوابط ملزمة للمحكوم فقط ، بل مازمة للحاكم والمحكوم معاً . . . !! والقيود التي تمنع الإنسان من الإساءة إلى نفسه أو إلى الغير هي قيود مرغوب فيها عموماً ، وقبيل القانون العادل هي من هذا النوع ، وحيث يسود « لا قانون » تسود بالتالي « لا حرية » !!

وفي رأي بعض المفكرين السياسيين أن الحرية مضمون واسع ، ولا بد لنا حين نريد تحديدها سياسياً أن نفرق بين أنواع الحريات السياسية ، كحرية الانتخاب ، والترشيح ، والمعارضة ، والتصويت الحر ، ورفض الدستور أو قبوله ، وحرية المعتقد ، والفكر . . . وما إلى ذلك ، فضلاً عن حرية الانتماء الحزبي ، الذي يمثل أبرز صورة من صور الحريات السياسية .

ويربط آخرون بين الحرية السياسية والاقتصادية ، فيرون أن جناحي الحرية هما حرية الرغيف وحرية الرأي ، ويرون أن غياب رغيف الحبز يعني غياب الرأي الحر .

ريشهجدي هؤلاء التاريخ ، فيذكرون أنه في نالي المجتمعات الطبقيّة كان من الصعب على طبقة البروليتاريا أن يكون لها رأى ، لأنها محكومة

بقوايس العمل ، وبمصاعمات الثورة الصناعية ، وبالتسلط البورجوازى
الذى يمنعها من أن تبدى رأياً معارضا لمصالح البورجوازية المسيطرة !!

ومع صحة الدور الذى يمكن أن يلعبه الاقتصاد فى الحياة ، فالواقع
أن الحرية كقيمة وجودية وسياسية ليست مرتبطة ارتباطا عضويا بالاقتصاد
إلى هذا الحد . . .

فعلى مدار التاريخ وجدت الطبقات ، ووجد السادة والعبيد ، ووجد
الأغنياء والفقراء . . .

لكن إذلال بعض الطبقات لبعض الطبقات الأخرى - لم يكن - أبداً
ودوما - وليد احتياج الطبقات الذليلة لرغيف الخبز - أو العوز الاقتصادى -
للطبقات الأعلى . . . بل إن هذا الإذلال يرجع إلى عوامل ، ربما كان بعضها
عرقياً جنسياً ، أو دينياً مذهبياً ، أو تسلطياً إرهابياً ، أو استعمارياً خارجياً . . .
فما معنى الربط الأبدى بين الاقتصاد والسياسة !!

والأمر نفسه يقال فى ارتباط السادة بالعبيد ، إنه لم يكن وليد تحكم
السادة فى الاقتصاد وحسب ، بل كان وليد عوامل تاريخية كثيرة ، منها
التركيب الاجتماعى نفسه ، ومنها التطور التاريخى ، ومنها التخلف الفكرى ،
ومنها الجاهلية الاعتقادية !!

. . . وبالتأكيد تعتبر الحرية الاجتماعية المقننة ، والحرية الاقتصادية
المقننة ، والحرية الفكرية المقننة . . . عوامل هامة لاستكمال الحرية السياسية .
لأن الحرية السياسية لا تقوم فى فراغ .

ويبقى بعد ذلك أن الحرية السياسية هى أن يتاح للمواطن الاشتراك فى
حكم نفسه ، بقدر ما تسمح له مجموعة ظروفه فى المجتمع ، والدولة الحرة
سياسياً هى تلك التى تصبح دولة الشعب .

خارج الحرية :

من الغريب في التاريخ أن الذين عرفوا قيمة الحرية ، وتعاملوا معها كقانون من قوانين البقاء ، لم يتعبوا أنفسهم في التهرب بها . . . والاتجار على حسابها . . .

إن اليهودية الصحيحة التي كانت على عهد موسى ، والمسيحية الصحيحة التي كانت على عهد عيسى ، والإسلام منذ نزل على محمد - عليهم الصلاة والسلام جميعاً - وإلى اليوم . . . إن هذه الرسائل كلها قد خلصت البشرية من كثير من أثقال العبودية وأوزار الاستبداد .

لكن - من الغريب في التاريخ - أن هذه الرسائل - الرسائل السماوية كلها - لم ترفع شعار الحرية ، ولم تتاجر به لتستغل الجماهير ، وتستغل غوغائية بعضها . . . لقد كانت تعلن العبودية لله الواحد ، والمساواة والحرية بين كل البشر . . . كانت هذه هي خلاصة عملها . . . استسلام لله ، وثورة على كل الطواغيت والقيم والتصورات الاستعبادية البشرية . . .

ومع ذلك ، فلم تستغل الأديان عموماً - كما ذكرنا - شعار الحرية لتتاجر به على الجماهير المضطهدة الكادحة . . . إنها كانت تخلق من السادة أنفسهم محررين للعبيد ، وكانت تخلق من العبيد سادة ، وتوقف الجميع أمامها وقفة متساوية في ظل قانون واحد وإله واحد . . . لقد كانت الأديان تفرس جذور الحرية بطريقتها الخاصة الفريدة !!

لكن من غريب التاريخ كذلك أن يكون رافعو شعار الحرية ومستغلوه هم ألد أعداء الحرية .

فأسلوب الثورات والتحولات الانقلابية الانفعالية ، وهو الأسلوب الذي رقص كثيراً على أنغام موسيقى الحرية . . . هذا الأسلوب كان من أكبر عوامل قهر الحرية في التاريخ !!

فبإم الحرية أذلت الثورة الفرنسية الأمة الفرنسية كلها . . .

وباسم الحرية الاقتصادية والسياسية أدلت التورات الشيوعية والاشتراكية
أمماً كثيرة في الأرض والدول التي تسمى نفسها دولا ديموقراطية هي في
أغلب الحالات الدول الاستبدادية « ألمانيا الديمقراطية الشعبية ، اليمن الجنوبية
الشعبية ، كوريا الديمقراطية ، الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية الديمقراطية .
الصين الشعبية الديمقراطية . . . وهم جرا . . . »

إن هذه الدول عموماً تحكمها فئات صغيرة من السياسيين المحترفين ،
أو المعتصنين العسكريين أو المدعومين بقوى خارجية ، ومع ذلك ، ومع
أنه قام من بين حكام هذه النظم أبشع الطغاة في التاريخ ، فهذه النظم -
مدفوعة بعقدة الشعور بالذنب أو عقدة النقص ، إلى أن تلوك كلمة الحرية
والديموقراطية ، أكثر من لو كها أية كلمات أخرى !!

إن هذه النظم كلها « خارج الحرية » . بل إن هذه النظم هي أكبر
وصمة عار أصابت « الحرية » وأصابت كرامة الإنسان . ولوثت مفهوم
الحرية حتى كادت كلمة الحرية تفرغ من مضمونها الحقيقي !!

الحرية في الإسلام :

لم يرفع الإسلام شعار الحرية ولم يتاجر به . لأن قضيته في الأرض هي
قضية الإنسان في موكب تاريخه كله ، وليس ينسجم مع طبيعة الإسلام
أن يحصر نفسه في قضية واحدة من قضايا الإنسان قد تعنى أقواماً ولا تعنى
آخرين ، وقد تكون ملحة في زمان ، بينما تكون عادية متوافرة في زمان
آخسر . . .

وانطلق الإسلام يصفى منابع الرق ، ويضع مسؤولية هذه التصفية على
كاهل السادة والعبيد معاً . . . إن القضية ليست قضية صراع يودى بأجيال
لينتهي بثورة مضادة تضيع نتائجه . . .

لإنها قضية الإنسان . ويجب أن يتحمل كل إنسان - في أي موقع -
دوره فيها . . .

إن على « السيد » قبل « العبد » أن يدرك أن قوانين استعباد من نوع الاسترقاق المعروف هي مهزلة إنسانية ، ومن الممكن أن يقع هو ضحيتها في معركة خاسرة أو أمام قطاع طرق . . . إن عليه أن يشمئز شخصياً من قضية أفضلية إنسان على إنسان أو استعباده له .

لا بد أن تنبع الثورة من داخل فكره ونفسه ، ولا بد أن تكون متصلة بقضية إيمانه . . . ولقد نجح الإسلام في ذلك أروع نجاح في التاريخ ، وتغيرت النفسية التي أسلمت ، فرفعت العبيد إلى مصافها ، بل جعلتهم أسياداً لها « بلال سيدنا » ، « وسلمان من أهل البيت » . . .

ومات معنى العبودية بمعناه القديم قبل بزوغ فجر الإسلام . . ووقف العبد في الصلاة إلى جوار سيده ، بل ربما أصبح إماماً وأصبح السيد مأموماً ! وبمناسبة وغير مناسبة حث الإسلام ، بل وأوجب ، تحرير الرقاب « فلا اقتحم العقبة ، وما أدراك ما العقبة ، فك رقبة ، أو إطعام في يوم ذى مسغبة » . . .

وأعطى العبد حق استرداد حريته بالمكاتبه ، لسكى يبق أمره بين يديه ، ولسكى لا يرى أن الرق مفروض عليه . . . أبداً . . أمره بين يديه ، وليس من حق السيد أن يمتنع عن مكاتبته ، وأما الجارية فإذا أنجبت صارت أم ولد . . أى بإيجاز شديد تنال حريتها إن عاجلاً أو آجلاً !!

وفي المجتمع . . في مجالات السياسة ، والعلاقة بين الحاكم والمحكوم ، برزت الحرية بصورة لم تعرفها البشرية من قبل . . .

ذهب الرسول عليه الصلاة والسلام إلى معركة أحد بالرغم من أن هذا لم يكن رأيه . . فلما انهزم المسلمون ، نزلت آية : « وشاورهم في الأمر » حتى لا يظن أن ثمة ترابطاً بين الهزيمة والشورى .

وفي بدر شاور الرسول ، وفي الخندق شاور أيضاً . . !! ولم يكن المسلم يحس بأن ثمة ما يمنع من أن يقول رأيه . . فالرسول لم يكن يعاقب

أحداً على القول أو يسمعه منه .. ولم تكن ثمة مسائل عليا ومسائل سفلى ، بل كل الأمور البشرية من حق البشر ، بل فيما يتعلق بأمور الدنيا هذه يقول الرسول الكريم : « أنتم أعلم بأمور دنياكم » !!

ويعلن الخليفة في خطبة الخلافة الأولى « إني وليت عليكم ولست بخيركم ، فإن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني » .

وعندما يتكلم عمر في قضية المهور تصوب له المرأة رأيه . . فيقول على رموس الأشهاد : « أصابت امرأة وأخطأ عمر » . .

وعندما يطلب من رعيته أن يقوموه . . يقول له أحد الجالسين : « والله لو وجدنا فيك اعوجاجا لقومناك بسيوفنا » فلا يغضب أو يأمر باعتقال الرجل . . .

ويخطب فيأمر الناس بالسمع والطاعة ، فيرد عليه أحدهم : « لا سمع ولا طاعة » لأنه ظن أن عمر أخذ أكثر من حقه في ثوب . . فيبين له عمر الأمر !!

والتاريخ الإسلامى حافل بالصور العاكسة لظاهرة الحرية كقيمة حياة تنهار قيمة الحياة بدونها !!

ولئن كان ثمة انحراف في بعض فترات هذا التاريخ ، فإن هذا الانحراف كان خروجاً على الإسلام كأي خروج آخر من مظاهر الانحراف الكثيرة ، وهو خروج لا علاقة له بالإسلام ولا بصناع التاريخ الإسلامى الحقيقيين ! الحرية . . بداية النهضة الأوروبية الحديثة :

من خلال القيم الإسلامية التي تصنع المناخ الحر بزغ فجر حضارة الإسلام ، وظل المسلمون عشرة قرون . . بل وأكثر ، سادة الدنيا ، وقادة التقدم ، وأساتذة العلوم والآداب .

وعندما التقى الشرق بالغرب سواء في صقلية أو جزر البحر الأبيض

أو الأندلس أو الحروب الصليبية ، أحس الأوربيون بأن روح الحرية من أبرز عناصر تفوق هؤلاء المسلمين !!

ومع بداية عصر النهضة في القرن الخامس عشر كانت ظاهرة « النقد والحرية » سواء في مجالات الإرهاب العقيدى الكنسى ، أو مجالات الفكر بعامة أو مجالات السياسة أو غير ذلك . . كانت سذبة الظاهرة من أبرز العناصر المكونة للمواد الخاصة التي صنعت عصر الصاروخ والمركبة الفضائية !!

ولئن كان مارتين لوتر (١٤٨٣ - ١٥٤٦ م) وكالفن (١٥٠٩ م) ، وجون فوكس (١٥٠٥ - ١٥٩٢ م) قد قادوا قضية التحرر من الإرهاب والجمود الكنسى ، فإن قيام « الثورة » البرلمانية في إنجلترا إبان القرن السابع عشر وانتصارها على الحكم المطلق كان أبرز ظواهر التحرر من الإرهاب السياسى ، وكانت لأئحة الحقوق التي صدرت في إنجلترا سنة ١٦٨٩ من الوثائق النادرة المحددة لخط جديد في المسيرة الأوربية التي كانت ساكنة أكثر من عشرة قرون .

وفي القرنين السابع عشر والثامن عشر برز المفكرون الأحرار المتبادون المغالون في الحرية - كرد فعل لعصور القهر الكنسى ، وكان من زعماء هؤلاء : طوماس مور ، وجون لوك ، ومونتسكيو ، وفولتير ، وجان جاك روسو ، وديدرو ، وغيرهم .

ومما لا شك فيه أن الحرية التي تمتعت بها المجتمعات الأوربية كانت من أبرز الأسباب في تقدم هذه القارة ، وفي استعمارها للعالم كله إبان فترة من الفترات ، وفي تقدمها العلمى الذى لا يستطيع أحد إنكاره أو الممارسة في آثاره !!

• • •

لقد عملت أوربا بكل الرثاات المتنفسة ، وبكل العقول المفكرة ، وبكل الآراء المتصارعة ، فوصلت من خلال كل ذلك إلى التقدم والسيطرة !!
أد! الذين يعملون يرثة واحدة وعقل واحد ورأى واحد . . فسرعان ما يموتون !!

طريق العسالم الإسلامى :

• إن الفرد - مهما تبلغ مآقاهه - لا يمكن أن يقف أمام نظم ومجتمعات تفكر تكافها وتعمل كآها . . مثل مجتمعات أوروبا وأمريكا . . .

• ثم من هو الشخص الذى لا يخطئ ؟ وما دامت الخطيئة ملازمة للفرد . فلماذا ترك مصير الشعوب معلقاً على خطأ فرد أو صوابه ؟

• لقد وصف « بيسارك » بأنه أنشأ وطناً كبيراً ، ولكنه خلف مواطنين ضئلا . . سرعان ما استسلموا لارهابيين آخرين .

• إن الوطن الكبير هو الذى يتكون من مواطنين كبار ، والمواطن الكبير يبدأ وجوده من قدرته على التعبير ، ومن توفير المناخ الحر له .

• لقا قاست أوروبا مئات السنين من أجل الوصول إلى التنظيم الديمقراطى الذى تنعم بحيراته الآن .

ونحن فى نغى عن كل هذا الشوط المرير إذا رجعنا إلى قيمنا . . إلى إسلامنا .

أجل نحن فى غنى عن الممارك الدموية والتضحية بأجيال والتعرض للقضاء . . إذا استلهمنا الإسلام فى تقنين العلاقة بين الحاكم والمحكوم . . وفى إطلاق الطاقة الإنسانية من قيود المعتقالات والحمائم الصورية وتأميم الصحافة ومراقبة النشر والضغط على الهيئات العلمية والتلويح بالحرمان والإذلال . .

• كل ذلك فى حدود العقيدة الإسلامية السمحة .

• لسكى تكون الحرية . . فى مكانها .

• ولسكى ينطلق هذا العالم المفيد بالنظم الإرهابية . . المكبل بالأفكار المستوردة .

• ولسكى تخضر أرض حضارتنا من جديد .

الاحمّة الثالثة

(١)

المتردّدون في تطبيق الشريعة

ونحن على مشارف قرن جديد. هن القرن الحواميس عشر
للهمجرة . . بدأت تننادى وتلتقى - من أعماق الخلل
الحضارى والتردى التاريخى - أصوات هنا وهناك ،
أضناها المسير المنحرف الممزق منذ عشرات العقود ،
فى التيه الذى فرضه غزو تدرع بكل أساليب القهر
الفكرى والهيمنة النفسية والتفوق العلمى . .

هذه الأصوات . . لم تخرج من الأعماق . . عبثا ،
وفى الوقت نفسه لم تخرج وفق تخطيط وتنظيم ، فئمة
صبيحة فى أندونيسيا ، قد تساقها صبيحة فى مصر ،
وقد تأتى بعدهما ثالثة فى السودان أو باكستان ورابعة
فى الكويت . . . وهلم جرا .

إنها صبيحات خرجت . . كما تخرج صرخة المريض . . يطلب الدواء
ويعبر عن المرض . . ويعلن - بكل ما أوتى من صدق - أن الأدوية التى
تعاطاها لم تفده حتى اللحظة ، وأنه ما زال فى حاجة إلى الدواء . . الصحيح !

إن عاقلا ما . . لا يطلب من المريض أن تكون تعبيراته عن مرضه
- برغم صدقها التام - تعبيرات منظمة رتيبة الإيقاع ، متناغمة اللحن . .
ولأ أن تكون هذه الإيقاعات المعبرة قد سبقها فكر منظم ووعى موضوعى
وتخطيط ذكى ، وإنما العقل كل العقل أن يعطى هذا المريض الدواء
الصحيح ، ليبدأ فى السير نحو الطريق الصحيح للشفاء . . وبعد ذلك تبدأ
المباحثات العاقلة حول « أمثل الطرق » لاستئصال المرض . . والحفاظ
الدائم على الصحة . . وما إلى ذلك من قضايا حياتية ومستقبلية .

محاذير . . الطريق !! :

وأغاب الذين يدعون لتطبيق الشريعة الإسلامية - على امتداد العالم الإسلامي - يعرفون جيداً - كما يعرف هؤلاء الذين نناقشهم اليرم - كل محاذير الطريق :

* يعرفون أن بعض الحكام قد يستغلون تطبيق الشريعة الإسلامية . . للنخلص من بعض خصومهم . . أو للتنفير - بصورة مكرسة ، من تطبيق الشريعة ، مستقبلاً ، أو لاجتذاب الجماهير في مرحلة احتياجهم إليهم . . أو لغير ذلك .

ويعرفون - تماماً - أن تطبيق الشريعة . . بدون أرضية عقائدية ، بل وبدون مجتمع إسلامي . . قد يكون مغامرة تسيء إلى المستقبل الإسلامي كله .

* ويعرفون أن أغلب الحكام في عالمنا الإسلامي تتعارض مصالحهم مع تطبيق الشريعة ، سواء في مجال « تركيبة » أسلوبهم في الحكم ، أو « تركيبة » انتماءاتهم الفكرية ، أو « تركيبة » مشكلات بلادهم التي ربطوها بقوى خارجية . . أول شروطها وضغوطها أن تكتسح المفاهيم الإسلامية من الطريق .

* ويعرفون - أيضاً - أن ثمة مذاهب وأفكاراً واتجاهات ومستحدثات وأقليات وأوضاعاً فرضت نفسها . . وأصبحت ضغوطاً لا بد أن ينظر إليها بعين الاعتبار عند التنادى بتطبيق الشريعة الإسلامية !!

* ويعرفون - تمام المعرفة - أن « الإيمان وحده لا يعصم المجتمع » ، وأنه « ليس بالشريعة وحدها يقوم المجتمع الإسلامي » !!!

* * *

وعندما كنت أتابع مقالات أخي الدكتور محمد دفتحي عثمان ومقالات صديقنا

فهى هويدى ، فى مجلة العربى . . أو فى المسلم المعاصر – حول « التخوفات »
و « المحاذير » التى يجب أن تسبق تطبيق الشريعة . . أو عند التنادى – مجرد
التنادى – بتطبيق الشريعة ، كنت أعجب لأمر الصديقين الكريمين . .
وأقول لنفسى ، بعد أن أنهى من قراءة ما يكتبان : إنها كلمات عاقلة
تقال فى غير موضعها ، أو هى – على الأقل – كلمات حكيمة تقال
لإنسان يشرف على الفرق !! . . إنها « إغراق مستر » لذلك المستنجد الذى
يصرخ بملء فيه قائلاً :

« أخرجونى إلى الشاطئ أولاً » . . ثم قولوا – أيها الحكماء – بعد ذلك
ما تشاءون !!

وأعجب أول ما أعجب للدكتور فتحى عثمان – وهو مؤرخ مسلم –
كيف خانته حاسته التاريخية؟ وكيف سمح لنفسه أن يتناسى حقيقة بدئية ،
هى أن الشريعة الإسلامية التى نناقش قضية تطبيقها اليوم قد سبقت لعدة
قرون – على الأقل – قبل ذلك ، عبر بيئات ومستويات حضارية مختلفة
الكم والكيف .. ولم يقف أحد المسئولين الإسلاميين أو المفكرين الملتزمين
ليعلن – خلال تلك العصور – أن من الضرورى إرجاء تطبيق الشريعة
الإسلامية . . حتى نزيل « التخوفات » ونناقش « المحاذير » ثم « تفكر
ونناقش » بدون « تبسيط » قضية تطبيق الشريعة الإسلامية .

فهذه الشريعة – كما يعلم الدكتور ومثله الأستاذ هويدى – قد خرجت
من قلب الجزيرة بكل خصائصها البدوية . . لتدك بلاد فارس والروم ،
ولتنفتح عليهما . . ولتقول « الرأى الإسلامى » فى كل ما لديهما – وهما
يمثلان حضارة العصر – وفقاً لأصول التشريع الإسلامى بترتيبها المعروف
« قرآن ثم سنة ثم إجماع ثم قياس » . . الخ .

* * *

وقد خرج مذهب « مالك » إمام « أهل المدينة » والحديث . . التابع

من أعمق أعماق الجزيرة . . . خرج وسيطر على الشاطئ الأخر الأوربي . . . حين ساد الأندلس طيلة أيام الوجود الإسلامي بها وحين ساد الجناح المغربي للعالم الإسلامي . . . ليبيا وتونس والجزائر ومراكش . . . وبقاعاً أخرى في العالم الإسلامي . . .

ومن قلب الجزيرة العربية أيضاً خرج الإمام الشافعي . . . فلما رحل إلى مصر استحدث آراء جديدة مازالت كتب الفقه ترددها ، فاصلة بين هاتين المرحلتين في عملية المواجهة الحضارية التي تعرض لها الشافعي . . . فهي حريصة على أن تقول : « قال الشافعي في القديم » وأن تقول : « وقال الشافعي في الجديد » !

ومثات من الشواهد تدل على أن هذه الشريعة قادرة على مواجهة عصرنا . . . بكل مستحدثاته . . .

المترددون في تطبيق الشريعة !! :

ونتناول الآن ما ساقه « المترددون » في تطبيق الشريعة . . . نقطة نقطة بشيء من الإيجاز الذي يسمح به هذا المقال .

ونبدأ بالنقطة الأولى التي يثيرونها -- وهي في رأينا كلمة حق يراد بها باطل -- أو على الأقل تستغل استغلالاً باطلاً -- (ونحن نرجح أن الاستاذين فتحى عثمان وفهمى هويدى لا يقصدان استغلالها هذا الاستغلال وإنما يستغلها الخصوم) أقول : إن النقطة الأولى التي تثار دائماً في وجه كل المطالبين بتطبيق الشريعة الإسلامية هي أن « العقيدة » لا بد أن تسبق « الشريعة » . وفي هذا المعنى يقول الأستاذ « فهمى هويدى » في (العربي عدد ٢٢٧) :

« وهذا هو المنهج الذي اتبعه النبي عليه الصلاة والسلام ، عندما أراد أن يبني المجتمع الإسلامي الأول . . . بالعقيدة بدأ ، وكان هذا منهجاً طبيعياً وضرورياً . فما لم يكن الأساس متيناً فكل بناء فوقه معرض للسقوط في أية لحظة ، لقد فضى النبي ١٣ عاماً في مكة يزرع بذور الإيمان في قلوب المسلمين . . . العقيدة هي الأصل والأساس ، والشريعة هي الفرع ، لماذا

نوجه كل همننا إلى الفرع بل إلى جزئية محدودة من هذا الفرع ولا نعطي الأصل حقه ووزنه ؟ » .

— وما قاله الأستاذ هويدى فيه خطأ كبير .

فالأستاذ هويدى — بهذا القول — يؤيد تلك الآراء الخادة — الى شعبيها هو كثيرا في كتاباته ، وهى تلك التى تذهب إلى أن المجتمعات الإسلامية بمجتمعات بلا عقيدة ، مستواها في تلك العقيدة هو نفسه مستوى أهل مكة قبل أن يدخل الإسلام قلوبهم .

وبصرف النظر عن هذه اللفتة التى يمكن أن ينشأ حولها خلاف ، فالخطأ الآخر الذى لا يحمل خلافا هو أن الأستاذ فهمى ينسى أنه خلال هذه الفترة المكية لم تكن « الشريعة » قد نزلت أصلا . . بل كان الأمر الذى تنزل من السماء هو أمر العقيدة فقط ، ولو كانت ثمة أمور شرعية قد نزلت ، لما جاز للمسلمين أن يجتهدوا في إرجاء تنفيذها . . حتى تثبت عقيدة بعضهم ، ولقد كان بينهم مذنبون دائما وتطبق عليهم الشريعة أيضا ، فما ينزل من السماء واضحا لا يجوز أن يكون تطبيقه محل أخذ ورد . . ولو كان أمره يحتاج التدرج لفعله الشارع الحكيم من نفسه . . وذلك مثلما حدث في أمر الخمر — مثلا !!

وثمة أمر ثالث خطير لم يدركه الأستاذ فهمى ، ولم يحلله هؤلاء المؤرخون الذين يستلهمون من « الفترة المكية » جواز إرجاء تطبيق الشريعة . بحجة بناء العقيدة .

فلو كان أمر الشريعة جائز الإرجاء لما طبقه النبي عليه الصلاة والسلام فور دخوله إلى المدينة . . وإذا كان أهل مكة قد أخذوا حقهم — كما يزعم هؤلاء — في التمهيد لتطبيق الشريعة . . فهل يا ترى أخذ أهل المدينة هذا الحق . وذلك مع أنهم أول من طبقت عليهم الشريعة ؟ وهل كان بناء « عقيدة » أهل المدينة قد استمر ثلاثة عشر عاما حتى فرضت وطبقت أوامر الشريعة فور الدخول ؟

أليس هذا وهما تاريخياً كبيراً يسلكه كثير من المؤرخين دون وعي ؟
وحتى - عند هذه الحالة - هل نحتاج في بناء العقيدة لثلاثة عشر عاماً
توازي « الفترة المكية » أم سنستمر قروننا نبي العقيدة . . منذرعين
بذلك لعدم تطبيق الشريعة ؟ ومن متى تبدأ فترة العقيدة يا ترى ؟ هل ستبدأ
مع بداية كل « فترة حكم » كل حاكم في العالم الإسلامي ؟

. . .

أم ستبدأ من القرن الخامس عشر للهجرة ؟ أم بعد خروج إسرائيل وزوال
الأحكام العرفية وإبادة جرائم الغزو الفكري ؟

وأخيراً - في هذه النقطة - هل ترك الرسول عليه السلام والمسلمون تطبيق
العقيدة . . لأن مجتمعاتهم - دائماً - كان بها منافقون بلا عقيدة ؟

والخطأ الثاني الذي نفترق عنده تمام الافتراق هو ما قاله الأستاذ فهمي
هويدي مسائلاً : « لماذا ينصرف جهد الداعين لتطبيق الشريعة إلى تنفيذ
حد السرقة ، ولا يبذلون جهداً يذكر من أجل خوض معركة توفير الحياة
الكريمة للإنسان في المجتمع الإسلامي وهي في النهاية معركة التنمية وتحقيق
العدل الاجتماعي ؟ » .

وهي معادلة تشبه معادلة البيضة والدجاجة . . من أين نبدأ ؟

لكنني سأختصر الأمر على الأستاذ هويدي وأسأله عدة أسئلة ؟

- هل ترى أن المسلمين الواعين بالإسلام يؤيدون الفقر والتخلف ؟

- ألم تقل أنت شخصياً أن عمر لم يطبق حد السرقة في عام المجاعة وذلك
عندما لم تتوافر شروط التطبيق . . فما المشكلة إذن ؟

- وإذا كنت قد استشهدت بسلوك النبي عليه الصلاة والسلام في
مكة ، وهو استشهاد مردود - فلماذا لم تتساءل معنا : لماذا طبقت الشريعة
حين نزولها ، ولم ينظر في تطبيقها إلى مستوى الحياة الكريمة ؟ وما الحياة

الحدريه يا ربي، اهل هي - حياة ربه، ماء بمالس الإدارات والمحكام والوزراء أصحاب الأرقام السرية الذين يسرقون أقوات الشعب بالملايين . . أم هي حياة دوى الدخيل المحمود أو الطبقة الوسطى ؟ أليس من الأولى تطبيق القاعدة الشرعية . . ثم إذا كانت هناك حالة تستدعي النظر . . نظر إليها بعين الاعتبار في حد ذاتها ، كما نظر عمر في حالة الغلمان الذين اخطوا ، السرقة ليطعموا ؟ أم أننا نلغى القاعدة من أجل الحالات الفردية التي لها ملاساتها والموجودة في كل الأرض وتتعرض لها كل جزئية من جزئيات القانون ؟

تضامن المجتمع المسلم ضرورة :

وما يقوله الإمام أبو محمد بن حزم من ضرورة تضامن المجتمع المسلم على توفير الحاجات الأساسية للإنسان - أمر متفق عليه ، ولا علاقة له بقضية تطبيق الحدود إلا من الجانب الذي ذكرناه .

وأيضاً . . فهل غاياتنا العاليا نحن المسلمين هي تحقيق مجتمع «الرفاهية» أولاً ، أم جعل كلمة الله « عقيدة وشرية » هي العاليا أولاً . . ثم تأتي الرفاهية أو « مجتمع الحياة الكريمة » في الدرجة الثانية ؟

وهل كان المسلمون في المدينة . . وهم الذين تعرضوا للفاقة والحروب المواصله والمضايقات الاقتصادية من قريش وأهل الجزيرة جميعاً . . هل كانوا يعيشون حياة كريمة . . ويناضلون . . كما يطالب الأستاذ هويدى - في معركة التنمية وتحقيق العدل الاجتماعي ؟ أم كانوا يؤثرون على ذلك كله ، ويضحون بذلك كله ، في سبيل أن تكون كلمة الله « عقيدة وشرية » هي العاليا ؟

ولماذا حارب أبو بكر المرتدين ؟ لقد حاربهم من أجل العقيدة . . نعم . . لكنه أيضاً حاربهم من أجل الشرية ، ورفض أن يمنعه عقاب بعير كانوا يعطونها لرسول الله . . لماذا . . ؟ لأن الأمر أمر شرية . . أمر دين متكامل لا تنفصل فيه عقيدة عن شرية .

. . .

وبالتالى . . أفلا يرى الأستاذ هو يدى أن أهدافنا نحن المسلمين بمقتضى
عن النظرات المادية التى تهدف إلى « التنمية » أولا . وربما ثانياً وثالثاً . .
أما نحن فعندنا « الإسلام أولاً » !!

وهنا - ياصاحبي - مفترق الطريق !!

الصعوبة الكبرى :

أما الشبهة الثالثة ، فتضم مجموعة من الاعتراضات أو حسب تعبير الدكتور
فتحى عثمان « الصعوبة الكبرى » . . هذه الصعوبة الكبرى التى يسوقها الكاتب
المذكور ليست إلا عملية الاختلاف فى بعض الآراء السياسية أو الاقتصادية
فى الفكر الإسلامى . . هذا الاختلاف سواء فى « باب الحريات العامة وكيفية
ممارستها والحدود القابلية لهذه الممارسة » أو فى « تأمين وسائل الإنتاج
وفى تحديد الملكية الفردية » موجود وقديم . . والدولة الإسلامية - وهى
العين الرقيبة على مدى علاقة الفرد بالمتسع ومدى حدود صلة الفرد بالدولة
- هى التى تعدد مدى التحلل السياسى أو الاقتصادى فى توازن هذه العلاقة ،
وهى فى نفس الوقت - بإحساسها السياسى وينفذها الذى يقيس آلام الجماهير
- الخولة بأن ترجع التضييق هنا أو الانفراج هناك . . على أنها فى كل
ذلك ليست مطلقة اليد . وإنما هى محكومة « بالشرعية نفسها » . . أى
بالنصوص الأساسية فى النظام السياسى الإسلامى وفى النظام الاقتصادى
الإسلامى ، وهى تلك النصوص التى لا يجوز الاجتهاد فى محالها ، لثبوتها
قطعا وتواتراً .

* * *

ويسوق الدكتور فتحى عثمان قضايا أخرى أقل فرعية ، يراها جديرة
بالبحث قبل تطبيق الشريعة . . وأنا لا أدرى كيف لم يعتصم الدكتور فتحى
بكتاباتة نفسها فى « آراء من تراث الفكر الإسلامى » . وهو أحد كتبه التى
تحدث فيها عن قضايا الموسيقى والحب والمرأة مستلهما أقطاب الفكر الإسلامى
كابن تيمية وابن قيم الجوزية والإمام ابن حزم - ولم يقل أحد أن فتحى عثمان

قد مرق أو ارتد . . . بل طبع الكتاب غير مرة ، وطبعته دور نشر إسلامية ،
وقراه الإسلاميون بإعجاب ، حتى وإن اختلفوا حول بعض قضاياها .

فهل يجوز في ظل هذا أن يطالبنا فتحى عثمان بإرجاء تطبيق الشريعة
حتى ننتهى من بحث « مسائل الفن التشكيلي والتعبيرى » . . والنحت والتصوير
والموسيقى . . وهل يجوز إشراك المرأة مع الرجل فى المسرح والسينما ؟
وهل يجوز تناول « الحب » فنيا . . أم لا ؟ وهل نشاط المرأة وعملها مشروع
فى المجتمع الإسلامى ؟ وهل يجوز اختلاطها بالرجال أم لا ؟ وحقوق
الأقليات فى المساواة التامة ؟ وإنشاء المعابد الجديدة . . وهلم جرا من
التساؤلات التى تتسم بالجزئية الشديدة والتى تتجاهل أن الإسلام ليس تجربة
جديدة تطبق لأول مرة فى التاريخ وإنما هو نظام قد طبق فعلا فى مراحل
كثيرة ومتعددة من التاريخ ، وأنه - أى الإسلام - قد واجه مثل هذه
المشكلات وأكثر منها عبر مسيرته . . وأنه - على يد المفكرين الإسلاميين
وأكثرهم سلفيون نصوصيون - لم يعجزوا يوماً عن إيجاد الحل ، بل لم
يعجزوا عن الوصول إلى « ترف فكرى » يفترضون فيه مشكلات خيالية .
ويعقدون لها الأحكام ، كما تحتشد كتب الفقه التقليدية .

ملاحظات أخيرة للمترددين :

وثمة ملاحظات أخيرة نقولها لهؤلاء المترددين فى تطبيق الشريعة . .
وليس الأستاذان فتحى عثمان وفهمى هويدى إلا النموذج الذى اخترناه ،
وإلا فالمترددون الآن قد بدأوا يظهرون بوضوح كاتجاه فكرى يشق طريقه
على غير أرضه ، ويفتقد الوعى التاريخى بأهمية الحركة ، ويستغله الأعداء
استغلالاً بعيد المدى ، كما استغلوا نماذج أخرى من قبل .

وملاحظاتنا - بإيجاز - هى :

١ - إننا نؤمن بالحرار . . لكن الحوار الذى نقصده حوار مشول
يعمل « بوعى تاريخى » ويدرس « مسئولية الكلمة » فى اللحظة و « حجمها »

في الحركة . و « أبعادها » سلبيًا وإيجابيًا . . ولا يترك لنفسه عتقان الفكر مجرد بحيث تصبح كلماته - على أحسن الفروض كلمات حق يستغلها الأعداء للباطل .

٢- والحوار الذي نقصده حوار في الإجراءات . . والفهم . . والتطبيق . . أي إنه « حوار داخلي » لا خارجي . يتعاون ، بل وينطلق من أرضية فكرية .

٣- وفي الحوار . . لا نؤمن « بالضمهوط الواقعية » وإلا فهو حوار انهزامي لا ينطلق من قواعد الإسلام وأصول التصور الإسلامي . . فأسنا ملزمين بقبول « فن النحت » . ولا بقبول « الفنون التشكيلية » بمعطياتها المورثة في « اللاعقلية » أحيانًا . . أو بتمبيرها عن نزعات لا تتفق مع تصورنا للكون والإنسان والحياة . كما أننا يمكن أن نرفض « أسلوبا » فنيا . . أو « اجتماعيا » لأنه لا يدخل في صياغتنا الإسلامية الكاملة للحياة .

إننا أصحاب حضارة متكاملة . لها وسائلها . ولها تركيبها . . ولها أهدافها في الحياة . . ومن الحياة .

(٢)

فتنة اليسار الإسلامي

لم يستطع الشيوعيون، في معظم بلدان العالم الإسلامي
أن يعلنوا على دعوس الأثهاد حقيقة ما يؤمنون به ،
وهو أنهم يكفرون بالله ، ولا يؤمنون بمحمد صلى الله
عليه وسلم نبيا ، بل هم لا يؤمنون بظاهرة « الوحي »
على وجه الإجمال .

وباستثناء مواقف فردية وعارة وحصل فيها الشيوعيون إلى مستوى هذا
التصريح ، من مثل إعلانهم في بلد عربي (سوريا) بأن دور الله قد انتهى
في التاريخ ، ومن مثل إعلان (نديم النيطار) في العراق بكلام يشبه الكلام
السابق لثر نكسة ١٩٦٧م ، ومن مثل سهم للبي محمد عليه السلام في منشور
بالسودان . ومن مثل مبالغاتهم في شخصر مند الباصر في بعض المواقف .
مبالغة جعلته أقرب ما يكون إلى الألوهية . !

باستثناء هذه المواقف ، فإن الشيوعيين قد حرصوا على أن يظلوا أمام
الجماهير ، وفي حالة عدم تمكنهم من السيطرة بيدين عن التصريح بحقيقة
ما يعتقدون وما يضمرون . أما حين يسيطر الشيوعيون فالويل لكل الويل
للمسلمين .. فحرق العلماء في الصومال ، وتهديم المساجد على دعوس المصلين
وتمزيق المصاحف في عدن . كما أن ما تم في أندونيسيا سوكارنو (قبل أن
تقع في يد المبشرين) لا يقل بشاعة عما حدث للمسلمين في الصومال وعدن !
ودعك من ألبانيا ومن جمهوريات الاتحاد السوفيتي الإسلامية ، فتلك آثار
قد مسحوها من الوجود محطمين كل حقوق الإنسان ، بأبشع وأفظع ما عرف
من وسائل الإبادة الجماعية وهتك الأعراض والفتك بالنساء والأطفال
وقدمير كل صالة معنوية أو مادية بالإسلام .

• • •

سياسة الشيوعيين في العالم الإسلامي - إذن - سياسة محددة تخضع
لاستراتيجية مرحلية . وتسير وفق توجهات عليا ، وتتقلب حسب الظروف
المتاح .

وكان أبرز ما اعتمد عليه الشيوعيون في تنفيذ هذه الاستراتيجية المرحلية
الملتوية هو الاحتماء في مصطلح يبدو أن الشيوعيين في أكثر البلدان التي
لا يستطيعون فيها إبراز وجههم الحقيقي وهويتهم الواضحة يحتمون به . .

هذا المصطلح الذي يحمى فيه الشيوعيون وأصبح علما عليهم ، ودليلا
على أسلوبهم في الفكر والحركة : هو مصطلح « اليسار » .

وكان هذا المصطلح أكبر مدخل لهم إلى قلب العالم الإسلامي . . وباعتباره
مصطلحا يستهوى عدداً من الشباب الخائضين على الأوضاع السياسية والاجتماعية
التي تحيط بهم ، والتي تتطلب - من وجهة نظرهم - تغييراً ثورياً . .
كما أنه يخفي وجههم الحقيقي عن الجماهير !

« وأخيراً صدرت الأوامر من موسكو إلى الأحراب الشيوعية في
أرجاء العالم بعدم التصدي مرحلياً للدين وما يمثله من قيم بصورة صريحة ،
وبإتسرة ، بل العدل على تطويعه وتحطيم مقارنته بأساليب درية هاتية » .

وكان مصطلح « اليسار » هو « الستار » الجديد الذي بدأ يظهر في كتابات
عبد الرحمن الشرقاوي ، ومحمد عوده ، وسامي داود ، وغال شكري ،
ومحمد سيد أحمد ، ولطفي الخولي ، وأحمد بهاء الدين ، وأحمد عماس صالح
وغيرهم . . .

ولم تنفع الحيلة الشيوعية ، وأستط الوعى الإسلامى المتخاوتة ، حتى بعثت
من جديد في مستهل عام ١٩٧٥ م مع ظهور العدد الافتتاحي من مجلة العالم
المعاصر ، التي رأيت أن تكون نافذة حرة للنسليم المعاصر ، دون أن تفرغ
رأيها على العناصر الإسلامية المتحاورة .

وقد فوجيء جمهوره المسلمين جميعاً بمقال للكاتب الإسلامي الأستاذ
(فتحي عثمان) يقترح فيه أن تكون مجلة المسلم المعاصر (اسان حال
اليسار الإسلامي) ، ويعطى لذلك تبريرات أهمها هذه التفرقة التاريخية في
النشأة بين مصطلحي اليسار والشيوعية . دون أن يضع الأستاذ الكبير
في اعتباره ذلك الظروف التي أحاطت بالمصطلح ، وجعلته مصطلحاً مشبوهاً ..
سرقة الشيوعيون من قاموس المصطلحات السياسية ، وأعطوه لأنفسهم ..
ونجحوا في ذلك .

هـ فهل يا ترى نصر نحن المسلمين على تضييع أعمارنا وأجيال من أبنائنا
وأنصاف مثقفينا وتشيتت حركتنا وتمزيق صفوفنا من أجل الإصرار على
مصطلح بعينه (!!) وهل عجزت حضارتنا وفكرنا عن إعطاء مصطلح
آخر ينتمي إلينا ولا يثير التناق والشكوك والتمزق !

هـ وكنا نحب أن يتلفت الأستاذ فتحي عثمان حوله ليرى كم خسر إخواننا
المسلمون في لبنان بسبب ما أشيع من اتهام بعضهم بلانا المصطلح !!

هـ وكنا نحب له أن يتلفت حوله ليرى كم خسر إخواننا المسلمون
في أريتريا . . بل في تايلاند . . بل في الفلبين . . بسبب شيوع هذا المصطلح
. إن يحن أو يغير حق - عنهم !

هـ وقبل ذلك وبعده كنا نحب لأستاذنا فتحي عثمان ، وهو أحد المفكرين
الإسلاميين ، أن يدرس مصطلح (اليسار) نفسه دراسة أكثر عمقاً
ليعرف هل يجوز أن يدخل هذا المصطلح الفكر الإسلامي أم لا . قبل أن
يتبناه . وقبل أن يدعو إلى جعله حزبا من الأحزاب الإسلامية !

وحقيقة اليسار ، بصرف النظر عن سرقة الشيوعيين له كما سرقوا بعض
المعانيات الأخرى . . حقيقة اليسار أنه دعوة إلى التغيير الجذري . .
والمعارضة . . بأسلوب عنيف . . غير متعقل . . يميل إلى الدموية . وهو

يعارض لذات المعارضة . . ولا يملك عقيدة ثابتة . . بل هو أميل إلى الشباب
التائر الساخط على كل شئ . . المدمر لكل القيم . .

وفي الثورة الفرنسية (كما يحدثنا الكاتب الإسلامى الأصيل عماد الدين
خليل في كتابه لعبة اليمين واليسار) . . في الثورة الفرنسية ظهر أسلوبهم
الارتجالي الدموى . . فبعد أن أعدم الملك لويس السادس عشر بالمقصلة في
سنة ١٧٩٣ م ، قبض كل من (دانتون) و (روبيسبير) الثورين
على زمام الحكم ، فبدأ بهما عهد الرعب الدموى حتى أنه خلال خمسة عشر
شهرأ من ذلك التاريخ قدم إلى المقصلة (١٢٥١) شخصأ من أهل باريس
وحدها ، في العاشر من يونية أصدر روبيسبير قانونا يمنع المحكوم عليهم
بالإعدام من حق المحاكمة القانونية . . وخلال شهر واحد بعد هذا القانون
أعلنت جماعة روبيسبير اليسارية ١٣٦٧ شخصأ كان من بينهم معظم رفاقه
أنفسهم ، بل كان منهم صديقه (دانتون) وزميله الهامى (كاميل ريمولان) .
وهكذا أكل اليساريون بعضهم بعضا . . وفقاً لأسلوبهم المعروف في
التاريخ كله ، قبل الشيوعية وبعدها .

. . .

ويا ترى - هذا اليسار - بهذا الفهم الذى أكده تاريخه (بصرف النظر
عن استغلال الشيوعيين له) . . هذا اليسار هل تقبله طبيعة الإسلام . . ؟
- المعارضة الدائمة لذات المعارضة .
- التغيير الجذرى .
- العنف غير العاقل وبلا مبرر فضلا عن الدموية .
- تدمير كل القيم بشكل ثورى .
- ترديد شعارات غوغائية فارغة المضمون .
- العواصف الهاشجة والمواطف المحنونة في تقرير مصير الأمم .
- التصارع التكتلى . . والتفكك الثورى . . وتبادل التهم لأتفه الأسباب .

هذه التماذج السلوكية المختلفة بما ينضوي تحتها من فكر هائج بلا أصول .. هل بتبليها الفكر الإسلامي السياسي ؟ بل هل تقبلها طبيعة علاج الإسلام لمشكلات الحياة ؟ وهل عرف تاريخنا صراعا دائماً بين طبقات معينة .. شبابا يساريين .. وشيوخا رجعيين .. هل لابد من أن يقوم الصراع بين هؤلاء وأولئك ؟ ولماذا ؟

وقد كان الاستاذ فتحي عثمان حين دعا إلى اليسار الإسلامي أعطاء خصائص كثيرة منها « أنه يحارب الظلم الاجتماعي والسياسي » ، « ويجاهد في سبيل الله والمستضعفين » ، « ويناصر الأيدي العاملة » ، « ويتمسك بالديموقراطية » (لعله يقصد الشورى) ..

وكنت قد سألته في تعقيب عاينه بحجة المسلم المعاصر عند هذه النقطة عدة أسئلة شاء أن يغلها في رده علي .. وبالتالي فما زالت هذه الأسئلة قائمة نتوجه بها إليه :

« وأصحاب اليمين - من أمثالنا يا أستاذ فتحي - ما المطلوب منهم في هذه القضايا :

-- هل يجب علينا مادامنا لا نرضى أن نكون يساريين أن نؤيد الظلم الاجتماعي ؟

-- وهل يجب أن نتخاذل عن الجهاد في سبيل الله والمستضعفين ، وعن مناصرة الأيدي العاملة والتمسك بالشورى ؟ والا أهمنا باليسارية ؟ وبإيجاز :

ما مواصفات اليمين الإسلامي في ظل هذه الامتيازات التي حصل عليها اليسار ؟

« ويرى الأستاذ فتحي « أن اليسار الإسلامي يطالب بالتغيير الجذري الذي يستوعب الأصول والأسس والجذور في واقع الكيان المادي والروحي معاً .. في الإسلام » .

– فهل يا ترى سيطلب اليسار بتغيير العقيدة ، وتطوير القرآن وإلغاء الحديث . . أليست هذه هي جذور كياناتنا الروحي . . بل والمادى ؟

وهل يبقى هذا اليسار إسلامياً مع ذلك ؟

– وكذا قد سأله أيضاً :

هل اليسار الإسلامى مجرد مذهب فقهي جديد أم هو تجمع (عقائدى) حركى مضاد ؟

ومضاد لمن ؟ لليمين الإسلامى . . أم للييسار غير الإسلامى ؟

– ومن المعلوم أن مبادئ الإسلام – على اختلاف مستوياتها تنقسم قسمين رئيسيين : أصول وفروع . . فأما الأصول فهى ثابتة لا تتغير ، والخروج عليها كفر صراح . . أما الفروع فمن حق الجميع أن يجتهدوا فيها . . دون أن ينقسموا إلى يسار أو يمين .

وقديماً عاش الإمام الشافعى فى ظروف أوجبت عليه لونا من الاجتهاد ، فلما رحل إلى مصر عدل بعض آرائه ، وبالكالى فالفقهاء يفرقون بين ما قاله الشافعى فى مذهبه (القديم) وبين ما قاله فى (الجديد) فهل يا ترى كان الشافعى رضى الله عنه يمينياً ثم انقلب يسارياً ؟

. . وهكذا كان فقهاؤنا دائماً يفرقون بين الأصول « الجذور » التى لا تقبل أى تغيير . . وبين الفروع !!

فهل للييسار مكان فى ديننا إذن ؟

إن تعبير « اليسار » شأنه شأن كثير من التعبيرات خضع لعملية تطور تاريخى ، وانبثق عن ظروف حضارية معينة ، فهو ليس مجرد مصطلح برىء محايد ، بل هو مصطلح محشو بكل خصائص النفسية الأوربية التى تطورت وازدهرت علمياً على حساب القيم الدينية ، وأصبحت تقدر « الفردية » و « العقلانية » ولا تضع للدين مكاناً فى حسابها . . وهذا المصطلح فى حقيقته ليس أكثر من تعبير عن تطور أوربي حمل هذه البصمات فى اتجاه من اتجاهاته نحو الحرية والثورية فى الحقل السياسى والاجتماعى .

وليس يخاف أن ثمة صلات قوية بين المركبات العقديّة والفكرية والنفسية وبين الاتجاهات السياسية التي تفرض نفسها عبر عديد من القرون وتمثل تياراً واضحاً في حركة الحضارة .

وفي ظل هذا الوعي فإن محاولة زرع مصطلح من هذا النوع في تركيبة حضارية مختلفة العقيدة والفكر والتطور التاريخي يعتبر عملاً مخالفاً لكل قوانين الحضارة . . . ولكل أصول الإصلاح .

لقد رفض الفكر الإسلامي كثيراً من المصطلحات الإغريقية والفارسية ، بل رفض بعض الفنون برمتها . . لأنها تعبير عن تطور علمي وفلسفي وفكري يختلف عن جوهر الإسلام ومنهجه .

• • •

ولعل الأستاذ فتحي عثمان يأخذه العجب حين نقول له صراحة : « إن هذه الشعارات المزيفة هي بضائع يهودية تروج للخدمة أغراض يهودية بعيدة المدى ، ولإحداث بلبلة عالمية ، وتفكك في كل عقيدة أو مذهب من مذاهب العالم ، بحيث يساعد على أن يبقى اليهود وحدهم في نهاية المطاف . . شعباً يقوم على عقيدة . . ويحارب باسمها وحدها . . ويحمل ثوراتها في دبابته . . بينما تبقى نحن بلا عقيدة . . نقاتل تحت كل شعار إلا شعارنا الإسلامي الصافي : لا إله إلا الله محمد رسول الله » .

ونحن على الرغم من ثقتنا الكاملة في سلامة نية الأستاذ فتحي عثمان وفي نزاهة اتجاهه إلا أننا نضع أمامه الحقيقة السابقة لئتحمل مسئولية دعوته أمام الله ، وحتى لا تكون له في أعناقنا حجة . .

« وبروتوكولات » حكماء صهيون . . تقول في مسألة هذه الشعارات البراقة المستحدثة التي تشغل بها الطاقات والعقول عن حقيقة التدبيرات الصهيونية . . تقول البروتوكولات ما نصه :

« في كل الأزمان كانت الأمم — مثلها مثل الأفراد — تأخذ الكلمات على أنها أفعال ، كأنما هي قانعة بما تسمع . ولذلك فإننا — أي اليهود —

رغبة في التظاهر فحسب - سننظم هيئات يبرهن أعضاؤها بالحطبة البليغة على مساعداتهم في سبيل التقدم ، ويثرون عليها . وسنزيف مظهره أبحر في لكل الهيئات وكل الاتجاهات ، كما أننا سنضمي هذا المظهر على كل خطبائنا . وهؤلاء سيكونون ثنائين بلا حد ، حتى أنهم سيهلكون الشعب بخطبهم وسيجد الشعب خطابة من كل نوع أكثر مما يكفيه ويقنعه ...

وهذا - في الحقيقة - هو الدور الوحيد الذي تلعبه مثل هذه الشعارات البراقة التي تحجب العقول عن التفكير ، وتحول قطاعات عريضة من الشباب إلى ثائرين ثنائين أقرب إلى الغوغائية والفوضوية واللامبالاة بعواقب الأمور .

أما بالنسبة لنا في العالم الإسلامي ، فإلى جانب هذه الآثار التي تحدثها هذه الشعارات في العالم كله ، فإننا - من واقع تراثنا وقيمنا - نرى أن أي تغيير أو إصلاح ليس أمامه إلا أحد طريقين : إما طريق الإصلاح ، وحينئذ يفقد اصطلاحا اليمين واليسار معناهما إزاء قاعدة عقائدية ، وتصور عميق شامل يستهدف خير الإنسان فرداً وجماعة (كما يقول صديقنا الدكتور عماد الدين خليل في كتابه عن لعبة اليمين واليسار) وإما أن يسلك هذا التخيير أي طريق آخر علماني وضعي فحينئذ يستوى اليمين واليسار ، وحينئذ لا بد أن يتعرض هذا التخيير أو هذا الإصلاح للذوبان في نمار التجربة الغربية ، يمينية كانت أم يسارية ، فيفقد بذلك شخصيته واستقلاله وأصلته ، ومن ثم يبرز اصطلاحا اليمين واليسار كهاتفين في حد ذاتهما إن عاجلاً أو آجلاً .

(٣)

مدرسة عبادة (العقل) في الفكر الإسلامي

– ما معنى أن يردد كثير من المسلمين – دون تمحيص – أن الإسلام دين العقل ؟

– ما دلالة هذه الإضافة ؟

هل تعنى أن « الإسلام » انبثاقه عقلية ، كما هي الدلالة اللغوية الظاهرة للإضافة في قولنا (دين الله) أو (مذهب ماركس) ؟

– هل المقصود بها أن حقائق الدين لا تتعارض مع العقل ؟

– وأى عقل هذا الذى لا تتعارض حقائق الدين معه ؟

هل هو (عقل شرقى) أم (عقل أوروبى) ؟ وهل هو (عقل مثقف) أم (عقل جماعى غوغائى) ؟ وهل هو (عقل العربى البدوى) الذى لم يستطع أن يعقل – بمنطق عقل عصره – كيف يسرى بمحمد عليه الصلاة والسلام من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى فى ليلة واحدة ؟ . . أم عقل القرن العشرين الذى يسيغ – بمنطق عقل عصره – دوران الصاروخ حول الأرض عشرات المرات . . . وصعود المركبة الفضائية إلى القمر ؟

وكيف يمتد خيط واحد على امتداد التاريخ منذ نزل القرآن وإلى قيام الساعة . . ليحكم ذبذبات العقل ، وتأثراته ، ومكوناته الجغرافية والتراثية ، وظروفه الصحية ، وغيرها . . ليستخلص لنا من ذلك كله . . حكماً عقلياً يرى بمرآته أن الإسلام (دين العقل) ، يتفق مع العقل فى كل الحالات ، ومع كل المؤثرات .

أليس ذلك حكماً تعسفياً على مسيرة العقل نفسها ؟

• • •

إن أغلب الظن عندى أن الذين يلوكون هذه العبارة وأمثالها إنما يريدون بها - عن حسن نية - أن العقل السليم لن يجد في حقائق الإسلام شيئاً غامضاً أو متناقضاً مع أوليات العقل ، وذلك على العكس من الأديان الأخرى الملية بالألغاز والطلاسم .

ولربما أراد آخرون - عن سوء نية - أن الإسلام نتاج عقلى محض ، شأنه شأن المذاهب البشرية ، وعلينا أن نخضعه لكل مقولات العقل ونظرياته . وليس هؤلاء من حديثنا في شيء . . . وإنما ينصب حديثنا على (أصحاب الذوايا الطيبة) ممن يريدون الحق ، ولا يكادون يهتدون إليه سبيلاً . . . فإليهم - وحدهم - ننوجه هذه الكلمات .

• • •

وسواء شاء هؤلاء (العقلانيون) أم أبوا ، فإنهم سينتهون بمفهوم الإسلام الكلى إلى دائرة مغلقة صغيرة توشك أن تكون جزءاً أو عطاء واحداً - وإن كان كبيراً - من إعطيات العقل . وسيجعلون من دائرة الإسلام الرحبة الفسيحة ، التي تمتد إلى آفاق لا يكاد العقل يرنو إليها ، بل إنه لا يستطيع بكل أدوات « الفطرة » فيه ، وبكل رصيد التاريخ وتجاربه التي ورثها ، وطورته ، - لا يستطيع بكل هذا أو ذاك أن يلجح بابها إلا حذراً ، وبعون من دائرة (الوحي) التي سبقته إلى الوجود ، على الأقل في مجال السبق الزمني ، (عندما علم الله آدم الأسماء كلها وحيّاً) ، فضلاً عن مجال « القدرة الذاتية » التي جعلت من « العقل » طاقة واحدة من طاقات « الوحي » في جزئيات من أجزاء الواقع ، سمح له بها « الوحي » نفسه . .

أما الدوائر العظمى ، فقد وقف العقل عاجزاً عن مجرد ارتياد مجالها ، فهو لم يستطع أن يخرج - إلا قليلاً - من جاذبية (غرائزه) ، ولم يكن خروجها إلا بواسطة (الوحي) ، كما أنه لم يرتفع إلى آفاق ما وراء (دائرة حواسه) إلا قليلاً ، ولم يستطع - حتى الآن - أن يعقل نفسه . . أى ما هو العقل ؟ ومم يتكون ؟ وما غذاؤه ؟ وما حجم الوراثة فيه ؟

وما الروح ؟ بل إن قضايا جسدية كثيرة ما زال العقل عاجزاً عن إدراك أبعادها ، على الرغم من التركيز الهائل على علو الجسد خلال القرون الأخيرة .

فأى عقل هذا الذى لم يستطع أن يفهم نفسه ، ولا « الكون » المحيط به . ولا « خالق الكون » ؟

وماذا ينتظر لإثبات عجزه بعد ذلك ؟

• • •

والحقيقة أن العقل جزء من الإسلام . . ومضاف إليه ، بمعنى أن التعبير الصحيح هو أن نقول « عقل الإسلام » أو بتعبير آخر « محاولتنا فقه الإسلام » أو (فهم الإسلام) . . .

وقد ننجح في بعض هذه المحاولات ، وقد نفشل ، لكننا في هذه الحال على الأقل نكون قد وضعنا العقل في حجمه الطبيعي . . وأحللنا الإسلام مكانه الصحيح من الإطار الكونى . . كما أننا في هذه الحال نكون قد جنبنا الإسلام كثيراً من أخطاء اجتهاداتنا « العقلية » ، وهى أخطاء لا بد منها .

وبالتالى فإن المعادلة تتضح حين نقول : إن دور العقل هو أن ينسجم مع الدين . . . وليس دور الدين أن ينسجم مع العقل . . وإذا كانت هناك أديان أصبح نصيب العقل فيها صفراً لكثرة ما أدخل البشر عليها من خرافات . . فإن من المؤكد أن العقل سيجد لنفسه مساحة لا ثقة به ومناسبة لحجمه فى الإسلام . ذلك لأنه الدين الوحيد الذى لم تدخله أهواء البشر . . ولم تقحم نفسها على حقائقه سخافات (العقل) فى كثير من عصور الكهانة والطفيان .

وهذه هى المعادلة الوحيدة المقبولة فى العلاقة بين العقل والإسلام .

• • •

إننا نذكر هذه الحقيقة ، لتندلف منها إلى معالجة فنية من أخطر قضايا الفكر الإسلامى فى العصر الحديث . . .

ولقد ظلت هذه القضية تنمو في غيبة الرؤية الإسلامية المتزنة الموصولة بأصول التصور الإسلامي ، من قرآن وسنة وإجماع ، حتى تكونت لها مدرسة قد تختلف فيما بينها في بعض الجزئيات ، لكنها تشترك في خطوط كبرى ، تجعل من السهل النظر إليها « كمدرسة واحدة » في الفكر الإسلامي .

وفي رأينا أن التطور التاريخي لهذه المدرسة ، قد بدأ مع الجولات الأولى التي احتك فيها الفكر الإسلامي بالحضارة الأوربية التي شقت طريقها في ساحة الاختراعات والابتكارات بالعقل وحده الذي هو السلاح الكبير في عالم الإبداع المادي . .

ومع رفاة الطهطاوي ، وعبد الرحمن الجبرتي ، وجيل جمال الدين الأفغاني ، ومحمد عبده ، بدأت بواكير هذه المدرسة تتضح على نحو لم يكن قد أخذ كل قسماته بعد . .

ولقد كان ثمة عنبر لبعض رجال المسيرة كالسيديين الفاضلين محمد فريد وجدى ، والطنطاوي جوهرى . . اللذين حاولا الدفاع عن الإسلام بسرقة سلاح الخصم . . أى بسلاح الحضارة الأوربية الزاحفة الذي هو (العقل والعلم) . . ولا شيء غير ذلك .

ومع أن كتابتهما لم تخل من سقطات فإن مما يشفع لهما ما عرفنا من جهما للإسلام ، وتجردهما في الدفاع عنه ، وبيعهما الثمن والغالي مما يمكن دفاعاً عن دينهما . . فهما قد اجتهدا عن إخلاص وأخطئا . . فلهما أجر المخطيء المجتهد .

* * *

ثم تطور الأمر بالمدرسة مع ظهور حركة الإخوان المسلمين ، التي كان لبعض رجالها ، وعلى رأسهم الإمام الشهيد حسن البنا ، فضل عرض الإسلام بطريقة سلفية . . قرآنية . . لا تعتسف النصوص . . ولا تتكلف الأسلوب . . ولا الضغوط « العقلانية » باسم التعليل وحكمة المشروعية .

ولا تلجأ إلى أساليب الإقناع الخطابي غير الموضوعي . . بل عمودها البساطة والوضوح والصدق . .

فلم يجد هذه المدرسة رسيولة إلا أن يدخل هذا التجمع الإسلامي الكبير ،
واعلمها نجد فيه فرصة إظهار قدرتها على الصراع العقلي . . دون أن تمد
رويتها لتفقد فكرها نفسه ، ولتقوم بحجم أدوات بحثها ، ولتعرف مدى
ملاءمة هذه الأدوات للبحث في حقائق الإسلام ، ولتتقد « العقل » ولو
« بالعقل » وحده .

وقد كان أولى بها ، وهي مدرسة تقتبس كثيراً من آرائها من الإمام
أبي محمد علي بن حزم ، أن تنظر في منهج ابن حزم بنظرة موضوعية ،
لتدرك أن هذه الآراء « التقدمية » - كما يسميها الدكتور محمد فتحي عثمان
- إنما وصل إليها ابن حزم من خلال نظره في القرآن والسنة - قبل أي شيء -
بمنهج ظاهري وصفه بعض التقدميين وهو الاستاذ (عبد المتعال الصعيدي
في كتابه المجددون في الإسلام) بأنه (رجعية) لالتزامه بظاهر النص . .
ولرفضه هذه (العقلانية) التي يتعبد في محرابها هؤلاء ، بل إنه - أي ابن
حزم - أبفضر الرأي كإله في الدين ، ويعتبره سواء جاء عن طريق القياس
أو الامة حسن أو سد الذرائع أو المصالح المرسلة . . يعتبره قولاً في دين الله
بالباطل . . . بل إنه يرفض ما سوى القرآن والسنة والاجماع والدليل من
مصادر التشريع . . فلا قياس عنده ولا استحسان ولا غيرهما من المصادر
الناائمة بين فقهاء الرأي .

فكان أولى بهذه المدرسة بالتالي أن ترجع إلى القرآن وإلى السنة ،
قبل العقل ، وأن تجعلها ما زادها الكبير ، بدل أن تعرضهما على محك العقل ،
وبدل أن تعطيهما مساحة صغيرة جداً في الحياة ، بينما تعطى العقل حق معالجة
كل قوانين الاقتصاد والسياسة والاجتماع . . . دون أن تنظر في (الوحي)
الذي جاء في هذين المصدرين الكريمين .

• • •

وقد تطور الأمر بهذه المدرسة إلى محاط كان لا بد أن تصل إليها ،
فقامت « العقل » على « النص » ، وفرضت « المذهب » على « المنهج »
والرؤية « العصرية » على الرؤية « الموضوعية » حتى مع ورود بعض التعارض

في كثير من الأحيان - بين ما يراه « النصر » وما يراه « العصر » ،
إذ أن « النصر » ينتمى إلى صياغة للحياة قد تكون متباينة مع بعض مصطلحات
« العصر » ومع ما يسمى بالرؤية العصرية .

وقد انبثق عن هذه المدرسة اتجاهات جنح بعضها إلى أقصى اليسار . .
فحاولت تطويع الإسلام « لليسارية » زاعمة أن الفروق التاريخية في النشأة
بين مصطلحي اليسار والماركسية ، كافية لأن تخضع الإسلام للرؤية
اليسارية ، دون أن نكون قد قمنا بعملية « ماركسة » للإسلام .

كما زعم بعض تلامذة هذه المدرسة أن بالإمكان الاحتفاظ بالإسلام ،
والتصور الإسلامى للحياة ، مع إخضاعنا هذا الإسلام للأسلوب « الغربى »
في الحياة . . . والنظر إلى الإسلام على أنه مجرد « دين لاهوتى » شأنه شأن
أى مذهب من مذاهب الكنيسة المسيحية .

* * *

لسكن الخيط المشترك بين أفراد هذه المدرسة على أية حال هو « تقديس
العقل البشرى » أو « تأليه » بمعنى آخر . .

ومع أننا لا ننكر (دور العقل) فى حدود حجمه الطبيعى ، ومع
أننا أيضاً على طرفى نقيض فى رؤيتنا للإسلام مع الاتجاهات الصوفية
التي تكاد تلغى دور العقل ، كما أننا - من جانب آخر - لا نقول
« بتعبدية الأحكام » بهذا الأسلوب الحاسم الشامل الذى ذهب إليه الإمام
أبو محمد بن أحمد بن سعيان بن حزم ، الذى رفض أسلوب « التعليل » كله .

مع كل هذا فنحن نقدم « النص » على « العقل » و « المنهج » على
المذهب ، ونرى أن الوحي سابق للعقل . . . وأن على العقل أن يحاول محاولات
جادة مستمرة لكي يصحح خطواته لكي تنسجم مع الوحي . . الذى
لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . . بخلاف العقل الذى يمكن أن
تهب عليه أعاصير الباطل من كل مكان !!

إن هذا هو « الفیصل » السكبر بیننا وبين هذه المدرسة .

• • •

على أن هذه المدرسة ، وهي لاهثة في طريقها ، لكي تفرض هذا « المذهب النعماني » على الإسلام قد عمدت - في سبيل تحقيق منهجها - إلى عدم الاعتراف « بأحاديث الآحاد » مع أنها تمثل جزءاً كبيراً جداً من حيز الكلام النبوي الشريف ، وذلك حتى تفسح (لعقلها) المجال ، لكي ينطلق بعيداً عن النصوص التي تقيد خطاه . . .

ولم تقبل هذه المدرسة إلا الحديث المتواتر ، مع أنه كالذهب قليل جداً .

وقد عمدت هذه المدرسة إلى رفض القاعدة الأصولية : « العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب » وجعلت كل حادثة من الحوادث التي تكلم فيها الرسول يقتصر حكمها على الحادثة نفسها . . . أي إنها جردت كلام الرسول عليه الصلاة والسلام من امتداده التشريعي . . . ولهذا تحدث أحدهم - وهو شخصية معروفة - فأفتى بأن الحجاب خاص بنساء النبي لأن آية الحجاب نزلت فيهن . . . فلا يجوز تعميمها . . . متجاهلاً آيات الحجاب الأخرى ومتجاهلاً أيضاً بأن ما يطبقه زوجات النبي أحرى بالمسلمات الأخرى أن يطبقه ما لم يرد نص يقيد بهن !!

وتلجأ هذه المدرسة إلى توسيع رقعة حديث : « أنتم أعلم بأمور دنياكم » . الذي بينه أفضل بيان ابن حزم الأندلسي ، بل ذهب إلى تضعيفه . . . والمهم أنها تكاد تغني بهذا الحديث كل ما ورد من نصوص في الاقتصاد والسياسة والاجتماع . . . مع أن هذا الحديث ينصب على الأمور التي لا جدال في خضوعها للتطور البشري كالتطورات التقنية الصناعية والزراعية والطبية . . . وما إليها . . .

• • •

ونستطيع - في نهاية هذا البحث - أن نوجز النقاط الكبرى التي يجب بحثها في منهج هذه المدرسة . وهي نقاط .. تركز عليها هذه المدرسة في الأيام الأخيرة . . . وأرى ضرورة تناولها من وجهة نظر « الوحي » الكريم . وهذه النقاط هي :

أولاً : موقف هذه المدرسة من تطبيق الشريعة الإسلامية ، وهو موقف يكاد يصل إلى حد الرغبة في صرف النظر عن هذه القضية ، وتبرير الواقع ، مع إعطائه بعض الرتوش وفقاً « للكليات » الإسلامية .

ثانياً : نظرهم للإسلام على أنه « فكر » وليس « ديناً » قبل كل شيء . وما الفكر إلا انبثاقه من انبثاقات هذا الدين - وهذا رأينا بالطبع -

ثالثاً : تبنى بعض هؤلاء لانتهايات سياسية حادة تتباين في بعض تصوراتها مع الإسلام ، كقول بعضهم باليسار الإسلامي ، وكدعوة بعضهم لنوع يمكن أن نسميه (علمانية إسلامية) .

وأخيراً . . . فإننا نأمل أن يتاح لنا تتبع هذه المدرسة بالدرس والحوار (من وجهة النظر الإسلامية) سواء في هذه المجالات ، أو فيما يتصل بها من قضايا تتفرع عنها .

(٤)

تعريف التربية في العالم الإسلامي

أهمية التربية في التاريخ :

لعله ليس من المبالغة القول بأن العملية التربوية من أخطر القضايا في التكوين الحضارى لأية أمة من الأمم . .

• الإنسان يولد صفحة بيضاء خالية من كل بصمات إلا بصمات خالقه سبحانه . . بصمات الفطرة المتجهة إلى كل ما هو خير . . النزاعة إلى تصعيد نفسها ، لتحقيق رسالة الإنسانية في الحياة .

• وهذه الصفحة لا تملؤها إلا العملية التربوية بفروعها المختلفة ، أعنى بأدواتها المتشعبة . . بالأسرة وما غرس في الأبرين من قيم واتجاهات وسلوك ، وبالمجتمع وأدوات التأثير الإعلامية فيه ، وبالمدرسة وما تركز على زرعه في العقل من قضايا تفرض عليها طابع القداسة والتلقى دون مناقشة خارج إطارها .

من هنا يمكن تسمية الإنسان . . الحيوان المرئى ، إذ هو في حقيقته انعكاس للعمامة التربوية ، وبقية عناصر التأثير فيه لا تعدو أن تكون المواد الخام الفطرية الأولية التى يمكن أن يستوى فيها - أو يقل - مع كائنات أخرى ؟

وفي التاريخ ، وعبر مراحل سعى الإنسان الحثيث ، كانت العملية التربوية من أبرز قضايا الإنسان .

ولسا هنا بصدد تدبع التربية في التاريخ ، أو ما يعرف بتاريخ التربية ، فلذلك مجالاته وأبطاله المتخصصون .

لكن المؤكد أن التاريخ حفل باهتمام بشري ضخم بالعملية التربوية .
ولعل الفلاسفة الذين عرفناهم (بمعنى الفلسفة العام) كانوا من أبرز
علماء التربية . ومن هنا عرفوا - أو عرف معظمهم - بالمعلمين (المعلم
الأول - أرسطو ، وأطلق المعلم الثاني على الفارابي . . . وهكذا) . . .
والجدير من ذلك بالنبيه ، وبالدلالة الموحية القوية ، أن زعماء موكب
التاريخ ، ورواد حركته الحقيقيين . . . أعنى الأنبياء كانوا كذلك معلمين ،
ولعل فيما قاله الرسول عليه الصلاة والسلام عن نفسه « إنما بعثت معلماً »
أقرى دلالة على وظيفة الرسل الكبرى .

والارتباط في التاريخ قائم وقوى بين الفاسفة بمعناها العام - كعلم
لتربية العقل ولتحصيل المعرفة - وبين العملية التربوية ، كما أن هذا الارتباط
قوى كذلك بين العملية التربوية وسائر فروع المعرفة ، أليست المعرفة ماء
الحياة المتدفق في جداول مناهج التربية ؟ وما قيمة المساء إذا لم يؤد وظيفته
في الحياة ؟ أعنى ما قيمته إذا كان ماء راكداً سيئاً لا يروى من ظمأ ،
ولا يخصب أرضاً ، ولا يعطى الحياة معنى الحياة .

إن المعرفة لا تتجلى قيمتها ، ولا تثمر ثمارها المرجوة ما لم توضع في
مناهج تنظيم الاستفادة منها ، وما لم تكن هذه المناهج ملائمة للتربية التي
ستعمل فيها . . . إذ الماء المالح لا يصلح لرى الإنسان ولا الزروع بحالته
التي هو عليها . كما أن كميات كبيرة من الماء العذب قد لا تصلح لتحويل
أرض جذباء صحيرية إلى حقول تعطي الفواكه والثمار والأشجار .

الانحراف الخطير في التربية :

من هنا يبدو أكبر انحراف في العلمية التربوية ، هو الدهاب - دون
وعى - إلى استيراد مناهج للتربية قد لا تكون صالحة للتربة وللأرض التي
يراد غرس بذور التربية فيها ..

وفضلاً عن الاختلافات المعروفة بين مكونات الشعوب من عقائد
وثقافات وعادات وتقاليد ومناخ ومتطلبات حياتية ومستقبلية . . . فضلاً عن
ذلك فإن الاختلاف في السيكولوجية ، وفي نوعية التطور التاريخي والمستوى

الحضارى للشعوب ، كافيان لأن يجعلوا عملية نقل مناهج التربية - دون وعى - من أخطر الانحرافات التى تصيب الشعوب الباحثة عن النمو ، أو الدارجة فى مسالك التطور .

ولعله ليس من باب المصادفة أن الله سبحانه أرسل كل رسولا ، بلسان قومه ليبين لهم .

ومن المعروف أن اللسان يعنى انعكاس القوى الواعية المحركة فى الإنسان . . إذ من البديهي أن تكون تربية طليعة قائدة مؤمنة تستوجب التفاهم المباشر المنطلق من الخلفية التاريخية والتراثية ومن الوعى بنقطة الانطلاق نحو الغاية العالية العالمية .

ولن يستطيع أى إنسان القيام بذلك عندما يبدأ بغرس القيم فى نفوس وعقول يفصلها عنه آماد من التاريخ والتطور والمكونات النفسية والاجتماعية .

ومن هذا الباب يدخل لإرسال الله أيضا الرسل بمعجزات من نوع خارق . . لكنها تعتبر التصحيح والميزان والحقيقة بالنسبة لقومه ، لأنها من نوع ما بأيديهم ، لكنها الطريق الصحيح والحجة الناصعة ، التى يتجلى من خلالها الله ، لإظهار عجز البشر ، وحاجة البشر .

ويستطيع المرء أن ينظر فى معجزات الأنبياء ليعرف مدى صلتها بالبيئة والزمان اللذين جاءت المعجزة لهما . فحيث كانت المحاولات الطيبة أكثر تقدما . . جاء عيسى عليه السلام يبرىء الأكمة والأبرص ويحى الموتى بإذن الله ، وحيث كانت المحاولات كبيرة للتقدم فى السحرة والسحر جاء موسى عليه السلام بعصاه تلهم ما يأفكون ، وتظهر الحق فى القضية ، وحيث كان العرب يعيشون عصر الكلمة البليغة والمعلقات وأسواق الكلمة الشاعرة جاء الإسلام بالقرآن على نسق من البيان لم يعرفه العرب فى لغتهم الشاعرة أو النائرة ، وتحداهم به . . فجزوا ، واضطر كبير من أعداء الإسلام إلى وصف القرآن بأن « أعلاه مشر ، وأسفله سحاق ، وله حلاوة ، وعليه طلاوة ، وما هو من قول بشر » .

إن العملية التربوية لا بد أن تكون ذات صلة بالبيئة ، بتحديات البيئة .
وبمستوى البيئة ، ولا بد أن تكون ذات هدف بالنسبة لمواصفات البيئة وعاداتها .
ولإلا فإنها ستكون كقصيدة شعر إنجليزي تلقى على مسامع من لا يعرفون
كلمة في الإنجليزية . . .

لقد تكون القصيدة لشيكسبير ، ولقد تكون في قمة الروعة بالنسبة
للذين يفقهون الإنجليزية ، أما هؤلاء المخاطبون بها . . الذين لا يفقهون
الإنجليزية ، فإنها لا تعدو أن تكون بالنسبة لهم مجرد أصوات كنتك التي
طلقها أى طير . . أو أى حيوان أليف .

من مظاهر الانهيار :

ومنذ ظهر في مصر « محمد على باشا » على مشارف القرن التاسع عشر ،
وهناك محاولات كثيرة للتغريب . . فلقد بدأ هذا الجندي الآبق يتوسل إلى
فرنسا ويرسل إليها البعثات تلو البعثات ، ثم سار أبناؤه على نفس النهج
حتى بلغ الأمر بحفيده إسماعيل باشا أن حاول أن تكون « مصر قطعة من
أوربا » .

وسار الأمر في مصر على هذا النحو الذي لم يزد مصر إلا تأخرآ ،
فضلا عن أنه سبب شللا وصراعا بين الوافدين من ذوى الثقافة النصرانية
المادية المستوردة ، وبين أبناء التراث الذين يحاولون التطوير من الداخل
– مع الاستعانة بالخارج كذلك – وبواسطة هذا الصراع تبلبت أساليب
التربية الصحيحة في مصر وفي العالم العربي ، وفقدت الجامعة الإسلامية
الأزهرية العريقة دورها الريادي ، حتى جاء النظام الثورى المادى فجردها
من مهمتها التاريخية ، وفرض عليها طابعا علمانيا حولها به إلى جامعة
عادية كأية جامعة أخرى .

وفي المغرب، لا شك حدث نفس الشيء ، وفقدت جامعة القرويين
دورها . . وأصبحت أشبه بدار تاريخية لجرد الذكرى وحفظ الآثار .

وفي الجزائر كان التغريب عاما ورسميا بواسطة الأدوات الاستعمارية
المسيطرة .

وفي سوريا ولبنان عملت المدارس الأجنبية من الجماعات التبشيرية
عملها في عملية التغريب . . وفي إيجاد قيادات لا تنتمي إلى الأمة ، شجعة
إلا وشجعة « المقرب بالوطن الأم » . .

أما في تركيا ، حيث مقر آخر خلافة إسلامية ، فقد انتهى الأمر
إلى أكبر عميل للتغريب اليهودي ، وهو مصطفي كمال أتاتورك (الماسوني)
الذي تشدد في التغريب . . بدءا من الحروف اللاتينية ، وانتهاء بإزالة الطربوش
ولبس القبعة « البرنيطة » . .

لقد تم عبر هذا كله تحويل العالم العربي إلى منطقة تجارب للعمليات
التغريبية ، وإلى منطقة فراغ تتصارع فيها كل المناهج التربوية والمذاهب
الاجتماعية والأفكار الشاذة التي تظهر في بعض حوارى وشوارع المجتمع
الأوربي .

ولم يستطع المجتمع العربي أن يرسو على حال صحيح ، كما أنه لم يهدأ
لحظة واحدة من الصراع الذى ينهك قواه ويشل حركته .

وبما أن المناهج المستوردة والعمليات التغريبية ، والمحاولات التعليمية
التي لم تراعى ظروف التراث والتطور التاريخي والوضعيات الاجتماعية والفكرية .
بما أن هذه كلها لم تنجح - ولا يمكن أن تنجح في زرع الفكرة التغريبية
الدخيلة ، مكان النبض القلبي الأصيل - فإن الشك والقلق والضيق كان هو
الحصاد لوضعية من هذا النوع .

وكما لم يلتزم العرب تربويا وفكريا . . فلإنهم لم يلتزموا عسكريا وسياسيا
وعقائليا .

رغم أنوا إلى شتات مبعثر يوالى بعض منهم هذا المنهج أو تلك الفكرة ،
ويتبع بعضهم الآخر هذه المدرسة أو هذا النهج .

ووسط هذا التيه والحيرة والضياع . . . توالت على العرب نكبات
من كل جانب ، ووجد أعداؤهم الحضاريون الفرص سانحة لزرع كل
بذور الشقاق بينهم . . . ولتحويلهم إلى أمم بعد أن كانوا أمة ، وإلى عقائد
بعد أن كانوا عقيدة ، وإلى عناصر متصارعة ، بعد أن كانوا يخضعون
لراية واحدة . . . تعمل لها كل معاهد التعليم ومدارس التربية في الأندلس
والمغرب والمشرق وصقلية وغيرها .

من محاولات الهدم :

لقد دأب زعماء الهدم في العصر الحديث على تفرغ العملية التربوية
من مضمونها كعملية توجيهية وحضارية .

* فحاولوا أولاً فصل العملية التعليمية عن العملية التربوية ، وحاولوا
جعل التعليم مجرد حشد للمعلومات يفتقد القدوة والتوجيه والبناء والإيجابية ،
وبالطبع لم يعدوا العناوين أو اللافتات التي يغلفون بها أغراضهم ، فنادوا
بالحرية ، وبتكوين الذاتية ، وباستقلال الشخصية لدى التلميذ . . .
وما إلى ذلك .

* وحاولوا القضاء على التعاليم الإسلامي المستقل القادر على إيجاد قيادات
قادرة على التعبير عن الفكر الإسلامي . . . ولقد ألبسوا ذلك ثوب الدمج بين
التعليمين : المدني والديني لفتح باب الحياة أمام علماء الدين . . . أي بتعبير
آخر لتصفية علماء الدين ، وتحويلهم إلى موظفين عاديين ، أو مدرسين
من الدرجة السابعة . يلتزمون بالمنهج المقررة عليهم شأنهم شأن التلاميذ . . .
وكما ذكرنا سلفاً فإن القيادة الثورية في مصر في عصر علي صبري وشعراوي
جمعة وغيرهما قد نجحت في تفرغ الأزهر من مضمونه التراثي والتاريخي ،
وحولوه - تقريباً - إلى جامعة علمانية .

* وقد حاولوا كذلك إفساد العملية التربوية ، عن طريق المطالبة
بالاختلاط . . . وتحويل الجامعات والمدارس الثانوية إلى منتديات للترفيه ،

ولإشباع الغرائز السفلى ، ولتمييع قضية التربية ، بل ولتعليم الجندس ، وإنشاء العلاقات العاطفية ، ولتبرير كل ما هو سافل وتافه من السلوك .

• وقد حاولوا تشجيع العاميات المختلفة لقتل الوحدة العربية واللغة العربية . . لغة القرآن والتراث والتاريخ ، كما حاولوا إحياء الوثنيات المندثرة والتاريخ السابق للإسلام للشعوب العربية ، والتجنى على التاريخ الإسلامى وتشويهه ، وحاولوا تفضيل القوانين الوضعية على القوانين الإسلامية . . وسلكوا كل درب فى التربية ، واستغلوا كل حادثة . . لسكى يصلوا إلى تفتيت العرب ، وإلى وأد حضارة الإسلام الوحودية ، وإلى بعث القوميات المحلية المنتنة . . لسكى يضمّنوا فى النهاية « وحدة تغريب وضمياع العالم العربى والإسلامى » .

ولقد تضافرت جهود كثيرين فى هذا المجال كان من أبرزهم « الدكتور القوصى والدكتور طه حسين ولطفى السيد وسعد زغلول وقاسم أمين والدكتور محمد خلف الله (صاحب القصة القرآنية) وسلامة موسى ولويس عوض وطائفة من المبشرين على اختلاف مشاربهم والأحزاب التى حكمت العالم العربى تحت شعارات قومية » .

ومع ذلك . . تقرير غريب :

ومع ما آل إليه أمر العالم العربى ، ومع تكرر الشكوى والفشل فى التربية فى العالم العربى ، ومع عديد من المؤتمرات التى عقدت ، والتى كشفت عن الخلل الموجود فى العملية التربوية ، وبأن ثمة خطلا وتصورات مغلوطة فى مناهج الدراسة ، وفى التأليف .

مع كل ذلك نجد فى التقرير الذى صدر بالجريدة الرسمية بمصر عن البعثات الدراسية الخارجية التى ستقوم بها وزارة التعليم العالى بمصر لسنة ١٩٧٣ م نجد حقائق غريبة :

• بينما تشكو الأمة العربية من ضعف فى النواحي العلمية والتكنولوجية

لا نجد العلوم المتعلقة بهاتين الناحيتين تحتل أكثر من خمس بعثات من بين أكثر من مائتي بعثة .

• هذا بينما تحتل دائرة التربية وطرق التدريس والعلوم الإنسانية ، وهي تلك العلوم التي يجب أن تتصل بالبيئة والتراث والوضعيات المحلية المختلفة . . تحتل هذه الدائرة أكثر من مائة وعشرين بعثة من بين البعثات المذكور عددها سابقا . . أي إنها تزيد على النصف من البعثات ، حتى ليخيل للمرء أن مخططي البعثات يعمدون إلى مزيد من التمييز والتضليل بالنسبة للعملية التربوية في العالم العربي . نعم في العالم العربي لأن هؤلاء الأساتذة غالبا ما يوفدون إلى جامعات عربية ويتركون بصماتهم فيها . .

• ونجد مثلا فروع الطب والتمريض والصيدلة على أهميتها لا تحتل أكثر من عشرين بعثة من بين البعثات الموقدة للعام ٧٣ - ١٩٧٤ م .

• أما فروع القانون (الحقوق) وحده ، فإنه يفوز بعدد مواز للعائد الذي نالته جميع فروع الطب والصيدلة والتمريض . . أي قريبا من عشرين بعثة .

• وبقية البعثات . . أي حوالي ٣٥ بعثة . . توزع بين كليات التجارة بأقسامها المختلفة ، وبين بعض المعاهد المتخصصة كمعهد البريد ومعهد القطن ومعهد الفنادق وغير ذلك .

ومن النظرة المحايدة يتضح عدم حياد القائمين على البعثات كما يتضح سيرهم في التخطيط المدمر لما تبقى من عناصر الصمود في هذه الأمة .

ولعل أبرز ما توحى به هذه الإحصائية أو هذا التقرير المنشور بتفصيلاته كلها في جريدة الأهرام المصرية الصادرة بتاريخ ٦-٨-١٩٧٣ .

لعل أبرز موحياته أن هذا التخطيط يسير في واد واحتياجات مصر والعالم العربي تسير في واد آخر .

٠٠ إن مصر والعالم العربي لم يصبهما ما أصابهما إلا لأنهما دائماً
يسيران في وادٍ وحقائق التقدم وأبجديات الرقي والتعمق تسير في وادٍ آخر .
وصدق القائل : أرنى مناهج أمة أنخبرك : أين هي ، ومن هي ،
وكيف هي ؟

الملاحمة الرابعة

مصرفى مهب العاصفة

(١)

شخصية مصرفىاع فى المزاد

« هل صحيح أن مصر لم تأخذ من العالم العربي بقدر ما أعطت؟ »

« وهل صحيح أن مصر في موقف من يؤدي الواجبات ولا يأخذ الحقوق بالنسبة لأشقائها العرب؟ »

« وبالتالي فهل في الإمكان أن تنفصل مصر عن أشقائها العرب لتتحول إلى دولة « حياذ » أو تتحول حسب تعبير « توفيق الحكيم » إلى « فندق العالم » . »

« وهل بالإمكان - في التصور الفكري أو العملي - أن نفصل بين ضرورة أمن مصر عن طريق تعاونها مع جاراتها ، وبين أن تبقى مصر عربية ؟ »

أى إننا يجب أن نتخيل يوماً سيأتى - كما نفهم من كلام لويس عوض - تتحد فيه بعض الدول العربية بجيش مشترك - مع إسرائيل ضد دول عربية أخرى . . . لضرورة الأمن . فالأمن هو مقياس الوجود لهذه المنطقة وليست العروبة . . . وليس الإسلام أيضاً . . . !!

« وهل صحيح أن أية صورة من صور الوحدة أمر مستحيل بين الأمة العربية ؟! »

« وإذا سمحت القيادات العربية فإن أمريكا وروسيا لن تسمحا به وبالتالي فتحقيقه مستحيل ؟ »

« ويا ترى ما هوية مصر ؟ . . وما رسالتها ؟ وما طريق مستقبلها ؟ »

الحقيقة أن أصل القضايا التي أثرت عن « حياض مصر » أو (أسطورة وحدة العرب) أو مجرد (عروبة مصر) . . والتي تولى كبرها (توفيق الحكيم) و (لويس عوض) . . أصل هذه القضايا يرجع إلى نقطة انطلاقة واحدة لم تتغير منذ مطلع القرن التاسع عشر وهذه النقطة هي : هل مصر عربية مسلمة حاضرا ومستقبلا أم (هي بلد بحر أبيض) يجب أن ينتمي إلى (اللاتينية) والفكر الصليبي والروح الصليبية .. !؟

إن هذا هو أصل القضية وجوهر الصراع . . وهو صراع مستمر يظهر تارة متواريا أثناء فترات قوة مصر ثم يظهر واضحا . . وعنيفا - أثناء فترات ضعفها ؟! لكنه مع ذلك - قد أخذ مسارا واضحا منذ مطلع هذا القرن ، أى منذ جثوم الصليبية الإنجليزية على مصر وسقوط أصالة بعض المصريين أمام الالتحام الحضارى بأوربا وقيام المستعمر بتكوين مدرسة من بعض الحاقدين على الدور الذى قامت به مصر عبر تاريخها المجيد فى خدمة الإسلام والعروبة . . وكان الهدف الوحيد أن تتخلى مصر عن هذا الدور . . منكنة على نفسها . . تتلقف (الشيكات السياحية) من أى مكان فى العالم . حتى ولو كان مقابل هذه (الشيكات) شرفها و (دينها) . . بل و (أرضها) !

أجل إن هذا هو أصل القضية !

سلوك قديم :

وما طرحه توفيق الحكيم ، وتلقفه منه لويس عوض . إنما هو سلوك قديم ، وشئشنة معروفة . . وليس هذا هو موقفهما الأول ، بل هو حلقة فى سلسلة مواقفهما . . ولعل جيلنا لم ينس بعد لتوفيق الحكيم أنه القائل أيام هاجمت فرنسا دمشق :

« عاشت حضارة فرنسا . : حتى ولو ذهبت دمشق إلى الجحيم ! » .

ولعل جيلنا لم ينس بعد للويس عوض معركته ضد الإسلام والعروبة التي عرفت بمعركة « الرسالة » والتي لقنه فيها المحقق الأستاذ محمود شاكر -

درسا لعله نسيه ، بعد أن عرف - حينها - قدره من البحث والتحقيق ، حين راح يفترى على أبي العلاء المعري ، ويجعله تلميذ الأديرة والكنائس ، ويحول تاريخ الثقافة في الشام إلى ثقافة (هيلينية جديدة) تأثرت بالروح اللاتينية أكثر مما تأثرت بالإسلام والعروبة .

وعلى الدرب نفسه سار كثيرون قبل الحكيم ولويس وبعدهما . . . ذهب إلى ذلك طه حسين في كتابه (مستقبل الثقافة في مصر) فرأى أن ثقافة مصر هي إلى اللاتينية النصرانية أقرب منها إلى الإسلام ، بل قد صرح بقوله : (إن وحدة الدين ووحدة اللغة لا يصلحان أساسا للوحدة السياسية ولا قواما لتكوين الدول) . . ثم تطورت الظروف بطه حسين بعد ذلك ، فأصبح رئيس مجمع اللغة العربية . . وأصدر كتاباته الإسلامية التي لا تخلو من شوائب !

ثم مشى على الدرب نفسه لفترة وجيزة الدكتور حسين مؤنس الذي قال في كتابه (مصر ورسالتها) : « إن تاريخ مصر يتأثر بالبحر الأبيض . . . وإن حياة مصر لا تستقيم إلا إذا كانت على صلة بالبحر الأبيض » لكن لم يلبث الدكتور حسين مؤنس أن أصدر دراسات عربية وإسلامية تدل بوضوح على انتهائه الإسلامي والعربي !

وليس من قصدنا هنا تتبع مسيرة هذه القضية في مصر . . . بدءاً من الخديوي إسماعيل ومروراً بلطفي السيد وانتهاء بمدرسة لويس عوض وموسى صبرى وكمال الملاخ - وإنما قصدنا - فقط - أن نلمح إلى أن هذه النزعة إنما تظهر منسجمة مع الظروف السيئة التي تتعرض لها الأمة العربية . . . ومع الأهداف الاستعمارية العليا !

دور المسيحيين :

وهناك حقيقة يكشفها تتبعنا الإحصائي لقادة هذه الحركات وجمهرة المشجعين لها . . هذه الحقيقة هي أن المسيحيين واليهود كانوا أكثر من غدى هذه الحركات واستجاب لتوجيهات الاستعمار بشأنها .

وعن ذلك يتحدث كاتب يسارى قوى غير مهتم بالولاء للإسلام وهو الدكتور محمد عمارة الذى قال فى كتابه عن (العروبة فى العصر الحديث) بعد أن سرد حركات تمزيق البلاد العربية . . . قال :

(لقد وجدت هذه النزعة الغذاء والقوة والتأييد من عديد من المصادر والاتجاهات والأوساط الرجعية المرتبطة بمصالحها بمصالح الاستعمار فى أوساط المسيحيين المصريين كانت للأسف تذكى نار هذه النزعة ، وتجد فيها شكلا من أشكال مواصلة العداء والحروب لكل ما هو عربى ، على أساس أن العداء للعروبة يتضمن العداء للإسلام) .

ولهذا فلا نعجب إذا وجدنا أن أعلام كل حركة تمزيقية إنما هم من هؤلاء . . . وإن اتخذت هذه الحركة الوطنية أو القومية أو العلمانية ستارا تتخفى وراءه . . . فهذهما واحد هو بقاء العالم العربى أشلاء متناثرة لا تصلح للوقوف أمام الأطماع الاستعمارية .

العروبة وليس القومية :

القومية كما يعرف لويس عوض كلمة مستحدثة لم يعرفها العرب الأوائل بمعناها الاصطلاحي الذى عرفته أوروبا فى القرن التاسع عشر ، وهو المعنى الذى تعنيه كلمة Nationalism وكان طبيعيا ألا تظهر كلمة القومية بمضمونها الفلاسفى الأوروبى فى أرض العروبة والإسلام نظراً لطبيعة الإسلام كدين وحضارة وجنسية ، يعنى عن الحاجة إلى ولاء قوى (بالمعنى الأوروبى) ويرفض أن تعلق فوق رأيه راية .

أما فى العالم النصرانى ، وحيث انفصل الدين عن الدولة ، وانعزل الدين فى الكنيسة بعيداً عن مسيرة المجتمع وتطور العقل ، فقد كان طبيعيا أن تحتاج المسيرة الأوربية إلى (ولاء) تجتمع حوله . . . فكانت الوطنية . . . ثم كانت القومية . . . ثم تعاورت الوطنية والقومية المواقع حسب فترات الضعف والقوة .

عده القومية إذن قد نشأت كبديل للولاء الديني نتيجة تطور حضارى
أوربي خاص . . . وهى نتيجة منسجمة مع طبيعة التصورات الاعتقادية
المسيحية ، وقد نجحت فى أن تخدم أوروبا الحديثة التى كانت تفتقد رابطة
الولاء ، فوجدت فى القومية (ولاء) معقولا تمكنت بفضلها من إتمام الوحدة
الألمانية على يد (بسمارك) ومن إتمام الوحدة الإيطالية على يد (مازينى)
ومن منح فرنسا روحا عظيمة على يد (نابليون) الذى كاد ينجح فى إخضاع
أوروبا لسيطرة القومية الفرنسية .

فهل العروبة التى ندافع عنها مجرد نظير مساو لهذه القوميات التى ظهرت
فى منطقة فارغة من (الولاءات) وفقاً لتطور انفصلت فيه الحياة عن الدين ؟

الحق أن هذا هو المفهوم الذى انطلقت منه حركة القومية العربية المعاصرة
حتى فى مرحلة (ساطع الحصرى) ، ولهذا كان أعلام هذه الحركة من
المسيحيين ، وعلى رأسهم المسيحيون الثلاثة : ناصيف اليازجى (ت ١٨٧١ م)
وابنه إبراهيم اليازجى (ت ١٩٠٦ م) وبطرس البستاني (ت ١٨٨٣ م) .
وما يزال يحرس هذا المفهوم للقومية الأب الروحى المعاصر لعراق البعث
(ميشيل عفلق) !

ونحن نرفض هذا المفهوم القومى ، ونؤمن بأن القومية لا تصلح بديلا
للإسلام ، بل نؤمن بأن الولاء للقومية بهذا المفهوم يتعارض مع التصور
الإسلامى الصحيح ، ولا يمكن الجمع بين التصورين . كما أننا نؤمن بأن
إسقاط نظرية تولدت عن تطور تاريخى محلى ووضع لاهوتى خاص - على
بلاد الإسلام والعروبة - إنما هو مغالطة تاريخية . وإشباع لنزعة عنصرية
وسوء فهم متعمد لطبيعة الدين الإسلامى الذى هو دين ودولة وحضارة
دون انفصام .

ومن هنا كان ترحيب النصارى القوميين بالكتابات التى تحاول إسقاط
الفهم المسيحى للدين على الإسلام ، مثل كتاب على عبد الرازق (الإسلام
وأصول الحكم) فقد وجدوا فيه ملجأ للقول بالمساواة بين المسيحية والإسلام .
وبالتالى لإفساح المجال للقومية وعزل الدين عن الحياة .

ونحن إذ نرفض هذا المفهوم القومي - فلإننا - في الوقت نفسه - نحترم (العروبة) ونعتبرها جزءاً من ديننا . . ورسالتنا . . وإطاراً كريماً لشعائر ديننا . . وكتاب ربنا . . وفهماً فهماً عميقاً ضرورة لإظهار إعجاز هذا القرآن العظيم . . والعرب أيضاً أعزاء على الإسلام . . فبهم عز . . وعلى أكتافهم حمل إلى آفاق الأرحس باعتباره رسالة عالمية (وليس ديناً قومياً كما يفترى الكاهن لويس عوض) . .

فبالعرب العظما . . وبصلاح الدين الكردي العربي . . وبالماليك المعربين . . وبالأترك المعربين . . بكل هؤلاء الذين يقرأون القرآن العربي . . وبكل المصلين بالكلمات العربية . . المتجهين إلى قبلة تقع في بلد عربي . . والذين يحجون كل عام إلى مدينة عربية . . ويؤدون المناسك بلسان عربي (دون أن يحسوا بأى شعور قومي) . . هؤلاء وبغيرهم الذين أصبحت العروبة عندهم روحاً وفكراً وولاءً مطلقاً وجزءاً من العقيدة . . هؤلاء نجح العرب في حطين وعين جالوت ومات المصريون شهداء في ليبيا . . أيام الغزو الإيطالي . . واستشهد سليمان الحلبي في مصر أيام الغزو الفرنسي . . ووقف العرب وخلفهم المسلمون جميعاً في عاشر رمضان ١٣٩٣ هـ .

إن العروبة روح وعاطفة . وتفكير عربي ، وانتماء عربي !

وكلمة (اللسان) في العربية تعني العضو الذي يترجم عما في الفؤاد وإلا فإن (اللسان المجرد) الذي لا يعكس فكراً ولا شعوراً ولا انتماء هو لسان البيغاء . . إن اللسان العربي في حقيقته يعني التفكير العربي ، والروح العربية وأسلوب الحياة العربي . . كما يعني الإيمان بالتراث العربي . . أو بإيجاز شديد (الإيمان بروح الحضارة العربية) التي يعبر عنها اللسان العربي باللغة العربية . .

وهذا وحده هو المقياس لتحديد (هوية) الإنسان العربي ، ومن هنا كانت ضرورة الإسلام لكل عربي ، حتى المسيحي العربي ، لأن الإسلام هو روح هذه الحضارة وهو فكرها وتراثها ورسالتها في المستقبل .

وقد وصل بعض المسيحيين العرب المخلصين إلى هذه الحقيقة ، فاعتزوا بالإسلام ، ولم يكيدوا له ، أو يتآمروا عليه ، بل جاهروا بحبه والاعتراف بفضله . . ومنهم الدكتور نظمي لوقا . . ومكرم عبيد الذى كان يقول :
(أنا مسلم وطننا مسيحي ديننا) . . والشاعر السورى المسيحى الكبير (وصنى قرنفلى) الذى كتب مقدمة نثرية تقصيده نه فى مدح الرسول عليه الصلاة والسلام . . يقول فيها :

(عقيدتى الشخصية أن محمدا صلى الله عليه وسلم كبقية الرسل ، وكما جاز للمسيحيين أن يجمعوا للمسيح صفتى الألوهية والإنسانية الممتازين فقد يجوز لى أن أرى فى سيد قریش نبيا دينيا ومنقذا قوميا فى آن واحد ، فأنا أحترمه صلى الله عليه وسلم كنبى جاءنا بالهدى والرحمة ، وأنصوى إلى لوائه كمنقذ لهذا الشرق من آثار الفرس والرومان ، وأنا أرى فى الدين الإسلامى قوة للشرق فى جهاده القومى يجب استغلالها ، وإذا لم يكن للقرآن من يد إلا صيانة لغتنا لكفاه ذلك فضيلة تحمد ويبدأ تشكر ، فاعترافا بفضل محمد والقرآن على العرب والعربية كتبت ما كتبت وأكتب) .

إننا نؤمن بها عروبة إسلامية . . وليست قومية أوربية . . حتى ولو أطلق عليها (قومية عربية) !
لا عروبة بغير القرآن :

حيثما تقرأ أغلبية القرآن الكريم وتفهم اللغة العربية . . فهناك شعب عربى يعيش فى بلد عربى حتى ولو حكمه غير عرب وغير مسلمين تحت ضغوط استعمارية .

ودائماً كان القرآن الكريم يمثل اللغة والثقافة المشتركة بين العناصر العربية . . ومن هنا حاول الاستعمار إبعاد العرب عن هذه الرأية الثقافية والمنهج الحضارى العالمى الفذ .

وعلى امتداد أربعة عشر قرنا استطاع القرآن أن يخلق تراثا هائلا سيطرت

روحه على العالم كله ردمها من الرمان ، راعطى الأمة الإسلامية والعربية وقودها الحضارى وفكرها المتميز ، ومنحها وحدة ، وحية لم تتوأم لأبى حضارة من الحضارات .

وسواء كان المسلم بدويا ينتقل حسب المراعى من مكان إلى مكان ، ويعيش - مع أبناء وطنه - كجزر نائية - أو كان هذا المسلم حضريا يعيش فى مدينة أو قرية . . فقد ظل القرآن هو (اللغة المشتركة) و (المذبح الواحد) الذى عليه يلتقون ويعيشون . .

فإذا كانت هناك قوميات قد ظهرت بلا أوطان فى عصور الهجرات الكبرى كتحركات الهكسوس والحيشين والإغريق والرومان والقونذ والواندال والهون والسلافيين والتتار والمغول - - فإن المدلين - أيضا - قد تعرضوا فى تاريخهم لأكثر من -ظهور من مظاهر الغربة ، ولأكثر من صورة من صور النكبة والاكساح والهزيمه ، ولأكثر من صورة من صور الغزو الصليبي والسياسى والفكرى - - ولكن - مع ذلك - بقى القرآن هو لغتهم ودستورهم وعلم مستقبلهم الثابت .

وسواء اتحد العرب بعد عشر سنوات أو بعد خمسين ، فإن القرآن سيبقى لهم كالفكرة الواحدة التى لا تقبل تجزؤاً أو شتاتاً ، كما أن العرب ليسوا أول أمة فى التاريخ تتعرض لمثل هذا التشتت . . فالألمان . . والإيطاليون - فضلا عن اليهود - قد تعرضوا له . . وأما كان لها وقودها الذى أعانها على الصمود والبقاء .

وتدلنا تجربة اليهود - وهى تجربة جديرة بالدراسة العميقة - على أن التوراة هى التى حفظت اليهود بالرغم من التشتت الهائل .

وهذا معنى قول أحد كبارهم : (إن اليهود لم يحفظوا التوراة ، وإنما التوراة هى التى حفظت اليهود) وعن التجربة اليهودية نفتطف من مقال نشرته مجلة لوموند للكاتب (لنكولا بوديه) العبارات التالية الجديرة بالنظر العميق :

« إنه إذا كان الدين في إسرائيل من الشؤون الخاصة لكل فرد ، فإن التوراة ملك مشترك بين جميع المواطنين ، بل هي دستور هذه الدولة اللادينية ! »

ويقول بوديه أيضاً :

« لقد جاء في إعلان استقلال إسرائيل ما يلي : ستقوم دولة إسرائيل على مبادئ الحرية والعدالة والسلام كما يفهمها أنبياء بني إسرائيل . . إن هذه الدولة ليس لها دستور ولكن دستورها العمل هو التوراة . . ومن حين لآخر تصدر قوانين جزئية حسب الحاجة . . والشئ الذي يلفت النظر في إسرائيل هو هذا اليهود الجبار لإحياء آرائها . . لإحياء التوراة . . فالمهاجرون، المثقفون الذين جاءوا من أوروبا والآخرون الذين يجرون جلايهم الشرقية . . إذا كانوا يمانعون في هذا، الأشياء وإنما يجدوهم شئ على الأقل . . وهو أنهم يتكلمون العبرية ، ويسكنون في بلاد تقوم كل حياتها على أساس التوراة » . . فنحن إذ نقول (بالعروبة القرآنية) إنما نقرر حقيقة حضارية وصل إلى استيعابها اليهود . . ونجحوا بها . . وثبتوا بها دعائم وجودهم على أنقاض أمة مبعثرة تتحرك بلا أساس ثابت . . بل نهز كالبنود، يقدفها يميني إلى اليمين . . ويسوقها يساري إلى اليسار . . كلاهما يقودها إلى حتفها عن خبث متعمد أو عن اجتهاد خاطئ ! »

شخصية الأمة :

وبجرنا هذا إلى كلمة عن (شخصية الأمة) . . فهل أمة في التاريخ يمكن أن تعيش وتبقى على أساس تذبذب الشخصية عن طريق التقليد أو التبعية أو تغيير الجلدة لكل فكرة وافدة أو غاز منتصر . . أم أن لأية أمة من الأمم ركائز ثابتة لا تقبل الاهتزاز . . مهما اعتورها من ضعف . . أو انتابها النكسات . . وبالتالي فهل يمكن أن يغير توفيق الحكيم أو لويس عوض شخصية مصر ، في ظل ظروف ضعفها ؟ !

لقد تعاور على حكم مصر الإغريق والرومان . . وحكمها الفراعنة

بناة الأهرام . . ثم حكمها العرب . . ومن بين هؤلاء جميعاً لا نجد لمصر شخصية ولا دوراً حضارياً ذا شأن إلا الدور العربي الإسلامي . . لماذا ؟ لأنه الدور الملائم لشخصية مصر . . المتصل بنفسيتها . . المعبر عن ذاتيتها . . الذى أعطاها الوجود الحصب الثرى . . فحمت فى ظلّه حضارة البشرية كلها أيام التتار فى « عين جالوت » وحتت العالم الإسلامى كله أيام الصليبيين فى (حطين) . . وصهرت مصر التتار والأكراد والمماليك فحولتهم إلى مسلمين عرب لا يشعرون بأنهم يدافعون عن مصر الفراعنة أو مصر الإسكندر الأكبر وإنما يدافعون عن (مصرهم) هم . . مصر الإسلامية . . مصر العربية . مصر الأزهر (!) لقد أصبحوا جزءاً من مصر . . لأنهم جزء من الحضارة التى تحرسها مصر !

ومن هنا يبدو (لويس عوض) أكثر ما يكون بعداً عن العلمية وأقرب ما يكون إلى الصليبية حين يقرع المصريين ويوبخهم لأنهم - كما يقول - : « يعيشون فى وهم أجداد ماضية ويتقمصون روح الأسلاف . . فيتحدثون عن حطين ومرج دابق وعين جالوت ويعلمون أبناءهم تاريخ طارق بن زياد وصقر قريش وصلاح الدين » .

- وماذا إذن تكون مصر . . يا لويس ؟

- وإذا ذهبت عين جالوت وحطين من تاريخ مصر . . فماذا يبقى فيه من أجداد عالمية ؟

- ويا ترى هل تعلم مصر أبناءها تاريخ (بطرس الناسك) و (جان دارك) و (نابليون بونابرت) بدلا من طارق وصلاح الدين ؟

- وهل تتكرم بريطانيا أو المبشرون الذين نعرفهم جيداً . . بالتخلي عن تمجيد (ريتشارد قلب الأسد) و (شارل مارتل) ليجدوا هم --- بدلا منا - عبد الرحمن الغافقى وصلاح الدين ؟!

أم إننا وحدنا الذين يطلب منا مسخ شخصيتنا وبيع حضارة مصر فى مزاد علنى ؟!

- وبيعه لمن ؟ لأعدائها الذين يستعصرون أرضها أو يساعدون مستعمرها
بالمال والسلاح ؟

والسؤال الضروري هنا : هل بإمكان مصر بيع حضارتها وشخصيتها
في المزاد . . حتى لو أراد ذلك حاكم أو محتل أجنبي ؟

ونترك الرد على هذا السؤال لمفكر القومية الألمانية الكبير « فيخته »
فلعله قادر على إقناع أمثال لويس والحكيم وحسين فوزى . .

يقول فيخته : « إن شخصية أمة من الأمم ليست شيئاً اصطناعياً ثانوياً ،
بل هي شجرة تضرب بجذورها في أعماق تلك الأمة ، وإن عظمة أمة من
الأمم ليست في المظاهر العابرة . . كما أن عظمة الرجال لا تقاس بالتمائيل
التي تقام لهم » .

ويقول (رونس ما هو) المدير العام لليونسكو : « إن الأمة التي لا تؤمن
بنفسها لا وجود لها ، فإذا لم يكن لشعبها طابع خاص يعبر به عن نفسه
وخصائصه ومميزاته وطرقه الخاصة به في الحياة فلا وجود له . . واستقلاله
استقلال سطحي » .

وأمانا كل الحضارات . . سواء منها الحضارات التي اندثرت أو التي
بقيت . . ثمة ميزان واحد للجميع . . إما أن تبقى شخصية الأمة بعيداً عن
الضغوط والمزايدات . . وإما أن تسقط الأمة وتذوب فوراً في غيرها . .
تماماً كما يذوب الملح في الماء !!

وقد أحسنت الدكتورة بنت الشاطي حين ذكرت في جريدة الأهرام
أن « شخصية مصر ليست من الأعراض الطارئة التي يجوز عليها التغيير
والتبديل فيصح أن تكون موضع نظر . . لأنها ليست قضية أدبية أو اقتصادية »
كما أحسنت بنت الشاطي أيضاً حين لمست اب القضية فقالت :

« إنني أخشى أن تكون هذه الدعوة إلى حياد مصر ذريعة لمن يكرهون
شخصيتها الإسلامية ، ويريدون أن يستبدلوا بهذه الإسلامية السلفية علمانية
عصرية تحررها من أغلال الانتباه إلى العالم الإسلامي .. » .

وما تحشاه بنت الشاطي . . هو جوهر القضية التي لا يريد أن يذكرها
أحد . . حتى لا يتهم بالتعصب الإسلامي . . والخروج على المذهبية العلمية !!
(وتمزيق الوحدة الوطنية) .

هل وحدة العرب أسطورة ؟!

يرى لويس عوض أن وحدة العرب أسطورة سياسية . . ويرى لويس
أن القوتين الكبيرتين لن تسمحا بقيام هذه الوحدة . . وبالتالي فهي أمل
ميثوس منه !

والحقيقة أن وحدة العرب ليست أسطورة . . لأن الأسطورة في أبسط
دلالاتها اللغوية أمر خرافي لم يتحقق قط . . ولا يمكن - عقليا - أن يتحقق .
لكن تاريخ العرب مليء بصور من الضعف والتفكك . . الذي أعقبته
وحدة أيضا . . كانت تبدو في أنظار البعض وكأنها حلم بعيد . . وهذه
الوحدة - بعد التفكك - انتصر المسلمون العرب في حطين وفي عين جالوت
وقبلهما وبعدهما .

وليس العرب بدعا في هذا . . فأوروبا تكاد تتحد في السوق الأوروبية
المشتركة على الرغم من تعدد اللغات والعقائد والأهداف . . والصراعات
المميتة السابقة بينها .

وأمریکا مكونة من ولايات تجمعها اتجاهات وعقائد متنافرة .

وقل في روسيا والصين الشيء نفسه .

ولم تتوحد ألمانيا بشارك إلا بعد حروب طاحنة بين إمارات ألمانيا
المتعددة . .

وإيطاليا - كألمانيا - لم تلتئم مدنها إلا بعد حروب ودماء طاحنة !؟

وآخر تجربة مرثية رأى العين . . هي نجاح الملك عبد العزيز آل سعود
- رحمه الله رحمة واسعة - في توحيد الجزيرة العربية التي تعدل مساحتها

مساحة أوروبا . . على عين بريطانيا وسمعتها . . ومع قوة روسيا وأمريكا
وفرنسا . . وفي ذلك الحين أيضا .

ونحن - من ثقافتنا التاريخية - نستطيع القول : إن الضعف خور وفساد
في أفكار العرب أنفسهم . . والقوى الخارجية إنما تستثمر هذا الضعف . .
وعلى الرغم من قوتها فإنها لا تملك فرض وضع التثنت على العرب . .
إذا ما أرادوا الوحدة واتجهوا الوجهة الصحيحة وتخلصوا من عوامل الضعف ،
وأولها معاول الهدم . . وتلامذة الفكر الغربي الداعى إلى الانقسام والتمزق .
وأخيراً . . مصر والعرب :

ليس لنا أن نخفل حقيقة أساسية في حوارنا هذا . . فإن هذا الحوار
ما كان له يكون لولا « المبادرة » التي زار فيها الرئيس أنور السادات
القدس ، ولولا ما أعقبها من تفكك في الجبهة العربية ، وقطع علاقات مصر
بسوريا والعراق والجزائر وليبيا .

ففي هذا المناخ أظهر كل صاحب نغمة شعبية نعرته ، وأظهر كل
إقليمي أو غربي . فكرته . وبدت مصر وكأنها « في مزاد » كل يحاول أن
بشرتها ، ليبيعهما في سوقه .

ونسى هؤلاء وأولئك أن اختلافات الحكام شيء وشخصيات الشعوب
وأسسها الحضارية شيء آخر .

ومصر . . عربية الهواء والماء والأرض والفكر والمسجد والمصنع
شاءت أم أبت .

وتخليها عن عروبته . . ليس قرارا سياسيا مناوئا نستطيع أن نتخذه
كما يقطع الحكام العلاقات السياسية أو التجارية . فهذا لون من الفكر
السطحي المضحك !!

إن إسلامية « مصر وعروبته » إنما هما قدرها الذي ستحدد على أساسهما
شخصيتها ودورها الحضاري . . ورسالتها في الحاضر والمستقبل .

وإذا كان بعض القادة العرب في الفكر والسياسة لم يصلوا بعد إلى درجة من النضج تسمح باستيعاب الحقائق الأساسية لشعوبهم العربية والإسلامية ، ويظنون أن كل شيء في حياة شعوبهم قابل للمزايدات السياسية فإن ذلك شيء ، وإن كان خطيرا - إلا أنه يمس هؤلاء القادة - ولا يمس جوهر القضية .

والكلام هنا عن مصر وعن سائر البلاد العربية والإسلامية !؟

• • •

والذين يتحدثون الآن عن « فضل مصر » و « تضحية مصر » و « عدم تضحية العرب مع مصر » و « رخاء العرب وفقر مصر » . . الذين يتحدثون بمثل هذه العبارات من منطلق عنصري تمزيقي لم يسألوا أنفسهم عن موقف واحد أخير ومعروف للجميع . . إنه موقف آخر معركة خاضتها مصر وانتصرت فيها . . وهل وقفت فيها وحدها ؟ أم أن معركتها وانتصارها وقف وراءه - بعد الله - السادات وفيصل رحمه الله ، كما اعترف السادات نفسه !؟ فضلا عن بقية الأشقاء العرب !؟

أليس من اللائق أن نتروى في علاج الأمور بدل هذا الأسلوب الانفعالي الارتجالي في معالجة قضايا مصيرية !؟

• • •

وسواء أعطى العرب مصر عونهم المادى والمعنوى أو قصروا في ذلك ، فإن مصر ملزمة بأن تقود الشعوب العربية إلى شاطئ النجاة ، وأن تبصرهم بالمصير المشترك الذى ينتظرها وينتظرهم إذا ما استمروا في مسيرتهم المهلكة .
إن مصر لا تدافع عنهم بالدرجة الأولى . . وإنما تدافع - بالدرجة الأولى - عن حياها وحوضها .

(٢)

الروتاري الصهيوني يآشر في مصر

الفاتيكان يكشف حقيقة الروتارى كجمعية سرية مشبوهة

فى ٢٠ ديسمبر ١٩٥٠ م - صدر مرسوم بابوى من المجلس الأعلى المقدس للفاتيكان يدين « أندية الروتارى » بحرم على رجال الدين والشعب المسيحى دخول هذه الأندية . . ونص هذا المرسوم هو :

« دفاعاً عن العقيدة والفضيلة تقرر عدم السماح لرجال الدين بالانتساب إلى الهيئة المسماة بنادى الروتارى وعدم الاشتراك فى اجتماعاتها ، وأن غير رجال الدين يطالبون بمراعاة المرسوم رقم (٦٨٤) الخاص بالجمعيات السرية والمشتبه فيها » .

وقد آثرنا أن نصدر مقالنا بشهادة الفاتيكان - باعتباره دولة رسمية معنية بمراقبة هذه الحركات حتى لا يظن الذين يعينهم الأمر أننا ننتقل من مجرد الحماس ، أو أننا نعتمد على اجتهادات شخصية . . ويبقى بعد ذلك أن نذكر بقية شهادات رجال الفكر المحايدين . وبقية الحقائق التى نكتشف دور أندية الروتارى فى خدمة « الحكومات الخفية » .

درجة الروتارى فى الحكومة الصهيونية :

معروف أن الاسم العالمى والشعبى الذى يقف وراء اليهود لتحقيق سيطرتهم على العالم هو اسم « الماسونية » وفى كل بلاد العالم بما فيها البلاد الإسلامية والعربية أسس الصهاينة «أندية للماسونية» تتخفى وراء العمل الاجتماعى الإنسانى . . لكن بعض هذه الدول ومنها مصر قد أدركت حقيقة هذه الأندية ، فأمرت بإغلاقها « ومن العجيب - كما يقول أستاذنا الدكتور

أحمد شلبي في كتابه -- اليهودية -- أن هدد الماسونية طاب - سرا على البلدان العربية حتى بعد قيام إسرائيل . ولم يصدر قرار بإلغاء المحافل الماسونية في مصر إلا في أبريل سنة ١٩٦٤ بعد تحريم البابا - في الفاتيكان -- لها بأكثر من عشر سنوات ، ولا تزال المحافل الماسونية تباشر نشاطها في بعض البلدان العربية .

وحيث تضعف أنشطة الماسونية ، بسبب مراقبة السلطات لها ، أو حيث تنجح السلطات في فهم حقيقتها فتغلق محافلها ، تقوم بدلا منها ، وبصورة تتخذ من « العلنية » ستاراً - أندية الروتاري ، لتؤدي الدور نفسه ، لكن بصورة تتلاءم مع الأوضاع والظروف الجديدة .

ولتوضيح ذلك فإن الماسونية كما يقول ماسوني مصري سابق وحبل إلى درجة (٣٣) وهي درجة الأستاذ الأعظم ، وهو الدكتور أحمد غلوش رئيس جمعية منع المسكرات الذي تاب الله عليه بعد أن كشف حقيقة الماسونية :

إن الماسونية تنقسم إلى ثلاث فرق :

١ - الفرقة الأولى هي الماسونية الرمزية الهامة ذات الدرجات الثلاث : وسيت رمزية لكثرة رموزها في طقوسها الوضعية المشتقة من التوراة !! ودرجات هذه الفرق الثلاث هي درجة المبتدئ ويسمى العضو فيها « الأخ » ثم درجة « الشغال » ثم درجة الأستاذ . . ثم يترقى صاحب درجة الأستاذ إلى درجة الاحترام . . ثم المحترم الأعظم . . . الخ .

٢ - الفرقة الثانية هي الماسونية الملوكية أو فرقة العمد الملوكي . . وهي أول مراتب العمل الصهيوني المنظم والمباشر والملتزم بأوامر الفرقة الثالثة ، وقد كانت هذه الفرقة مقصورة على اليهود ، ثم ربي من باب التنمية والسياسة قبول غير اليهود ممن يترقون ويوثق بهم من الدرجة الأولى .

٣ - أما الفرقة الثالثة والأخيرة فهي الماسونية الكونية التي تحكم

شئون العالم ولا يعرف مقرها أحد ولا يعرف رئيسها أحد ، اللهم إلا أعضاؤها الذين هم من اليهود الخالص ، ولهذا الماسونية محفل واحد ، هو الذى يدير النفوذ الصهيونى ومصالح آل صهيون بوسائل إعلامية واقتصادية ، مما يسميه الناس « التغلغل الصهيونى فى أجهزة الإعلام فى العالم ، والتغلغل الاقتصادى ، ونشر الفساد الأخلاقى وإعلان الحرب على الأديان » مما من شأنه التمهيد لسيطرة اليهود - وحدهم - على العالم !!

المهام المحددة للروتارى :

على أننا نستطيع إيجاز المهام المحددة لأندية الروتارى فى هذه النقاط :

أولاً : الكشف عن الرأى العام واستخلاص النتائج الممكنة ، من خلال الكلام العادى والمناقشات التى تبدو بريئة ختيل اجتماعات الروتارى المتكررة التى ينفق عليها بسخاء من مصادر مجهولة التمويل .

ثانياً : جذب مجموعة من المشاهير فى الفن والأدب والصحافة ممن يمكن أن ينخدعوا بالشعارات البراقة ، والذين يجنون الجلسات الفخمة والاجتماعات ذات المستوى العالى . . وهؤلاء يخدمون الروتارى من ثلاثة أوجه :

الوجه الأول : هو معلوماتهم التى يمكن أن يتكلموا بها دون دراية ، أو لأنها - فى رأيهم - بعيدة عن السياسة ، بينما تستطيع أجهزة الرصد الصهيونى تحليلها واستنباط بعض النتائج المفيدة منها ، سواء كانت الفائدة سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية .

والوجه الثانى : ترويج بعض الاتجاهات والأفكار الهدامة - البعيدة عن الولاء للدين أو الوطن - من خلال هؤلاء باعتبارهم قادة الفكر والمسيطرين على أجهزة الإعلام والتوجيه .

والوجه الثالث : هو أن وجود هؤلاء قد يخدم السذج والبسطاء بالانضمام إلى أندية الروتارى . . حتى يجدوا أنفسهم يجلسون ويتحاورون مع الكبار

المرموقين وبالتالي فهم « دعاية إعلامية » من حيث لا يشعرون لهذه الأندية المشبوهة !!

ثالثاً : نشر أفكار معينة تمهد لتحديث السيطرة الفكرية لليهود على العالم ، ومن هذه الأفكار : تنحية الدين عن التأثير في المجتمع ، باسم « الفصل بين الدين والدولة » لسكى تبقى اليهودية وحدها في الميدان .

وإذا كان معلوما لكل ذى عقل أن اليهودى الشيوعى أو الأمريكى أو حتى الذين تظاهروا منهم بدخول المسيحية إنمما ولاؤهم هو لليهودية والحركة الصهيونية أولاً - فإن من البديهي أن نعلم أن جماعة الروتارى التى تضم المسلم والمسيحى واليهودى إنمما هى خادمة للصهيونية .

والروتاريون منتشرون فى العالم أجمع وهم متساندون فيما بينهم أكثر من تساندهم مع إخوانهم فى الدين أو الوطن فضلاً عن الولاء للقوميات .

وهذه الأفكار - وغيرها كثير - هى الأفكار التى يناط بالدرجة الأولى « الفرقة الماسونية الرمزية » تعميمها وإشاعتها فى الرأى العام العالمى ، وهذه الدرجة هى التى يمثلها ويضطلع بأعبائها « الروتاريون » المنتشرون فى العالم كله .

وزير داخلية سابق يدين الروتارى :

وقد قام عبد العظيم فهمى وزير الداخلية الأسبق بإغلاق محافل الروتارى ، لكنهم استطاعوا العودة إلى العمل بعد أن ترك منصبه ، وقد ذهب الرجل لأنديتهم بعد أن أحيل إلى التقاعد . . وجاهرهم بحقيقة ما وصل إليه من أمرهم . وتأكد عن كثب من آرائه فيهم (راجع مقالة عن الروتارى بمجلة الاعتصام للدكتور أحمد شلبي) .

الروتاريون ينشرون الأفكار الإسرائيلية :

فى أوائل سنة ١٩٧٤م ، التقى المؤتمر القطرى لنوادى الروتارى فى مؤتمر

عالمى عقده في جزيرة صقلية ، ومثل فيه الروتاريون لدول حوض البحر الأبيض المتوسط ، وكان الموضوع الرئيسى الذى التقى عليه الروتاريون القادمون من الدول العربية وإسرائيل هو : « بحث مشكلة السلام وشروطه بين شعوب البحر الأبيض المتوسط » .

وقد تحدث إلى الصحفيين في إسرائيل عن هذا المؤتمر العميد القاضى « بار زئيب » ممثل إسرائيل . فقال عن لقاءاته مع إخوته الروتاريين العرب في هذا المؤتمر وفي المؤتمرات السابقة :

« فى بداية هذه اللقاءات تكون العلاقات رسمية وفيها بعد تتحول هذه العلاقات إلى علاقات ودبة . وفى نهاية المؤتمر لا نكتفى بالتصافح فقط بل نتجاوز ذلك إلى التعانق وتبادل القبل » .

ويقول القاضى الإسرائيلى عن كلمته فى المؤتمر :

« لقد قوبلت كلمتى بالترحاب حتى من الروتاريين العرب » .

وإن المرء ليندهش لهذه المؤتمرات العالمية التى تقام فى أكبر عواصم العالم ، وتنفق عليها أموال طائلة . . وحسبنا أن نعلم أنه فى إبريل ١٩٧٤ كان الروتاريون قد عقدوا مؤتمريهم الخامس والستين فى (مينابوليس) بالولايات المتحدة الأمريكية ، وقد قدر عدد الحاضرين لهذا المؤتمر بأكثر من عشرة آلاف عضو .. وهم لا يقيمون إلا فى أفخم الفنادق ولا يستضيفون إلا على موائد خيالية تشبه موائد القياصرة والأباطرة . .

أنيس منصور يكشف الروتارى :

فى أخبار ٢٠-٥-١٩٧٣م كتب أنيس منصور بعد أن ظل عشر سنوات يدور فى فلك أندية الروتارى - كتب بعد هذه السنوات يقول :

« اشتركت على سبيل العلم بالشىء فى إحدى جماعات الروتارى منذ أكثر من عشر سنوات ، وكان اشتراكى نتيجة لضغط شديد من الأصدقاء .

وذمبت واشتركت ، وفي اليوم الأول كان حفل غداء ، والغداء هو أهم حدث أسبوعي في كل جمعيات الروتاري !! . . وفي أثناء الغداء أو بعده كان يقال لنا : جاءنا اليوم مستر كوكو ماكوكو من اليابان ، وهو عضو الروتاري المركزي في طوكيو ، ويحمل اليكّم تحيات السيد أكوماكو الرئيس الفخري . . ويتعالى التصفيق ، ثم يتبادل الزائر الياباني ورئيس الروتاري المصري الإعلام (!!) ومع التصفيق يجلس الزائر لنسمع عن زائر آخر جاء من الهند ويحمل تحيات الهنود . وزائر ثالث من أمريكا . . وهكذا غداء وتصفيق وإعلام ولا شيء بعد هذا . . . » .

ويقول أنيس منصور :

« ومن الأخبار المضحكة التي تنشرها الصحف والمجلات ظهور عدد كبير من الجمعيات الروتارية الذمائية تجتمع وتنفض لماذا ؟ لا أحد يعرف الإجابة ، وأهم نواحي نشاطها الغداء أو العشاء وأن تتخذ قراراتها في كل اجتماع أن يكون الغداء القادم في المكان الفلاني » . . تم ينتهي أنيس منصور إلى التساؤل :

« إن الناس يتساءلون من هم الروتاريون ؟ ما دورهم ؟ ما رسالتهم ؟ ما سر حرصهم على إضاعة الوقت وإيهام الناس بأنهم يستثمرون الوقت لصالح الآخرين ؟ » .

ثم يجيب أنيس منصور :

« أ. حفيظة لا أدري لها فائدة ، ولم أسمع من أحد أن لها فائدة » .

لكننا نقول للأستاذ أنيس منصور : إن فوائدها للصهيونية العالمية معروفة . . وحسبها أن تحلل اتجاهات الرأي العام وتعرف بواطن الأمور السياسية والاجتماعية من خلال الرجال أو النساء . . وما هذه المآدب الفخمة إلا الثمن والستار — للأغراض العليا للماسونية الصهيونية !

الروتاريون في المعادى :

تخرج في المعادى جريدة أسبوعية وهى لسان حال الروتارى يقوم على أمرها مكفوف شبه أعمى لا يعرف أحد من يساعده ، كما لا تعرف المصادر التى تستغله وتموله لإخراج هذه الجريدة .

ولعله من حسن الحظ أن يكون من سكان المعادى أيضا الأستاذ الدكتور أحمد شلبي ، الذى كشف حقيقة الروتاريين فى كتابه عن « اليهودية » كما كشفها الأستاذ المجاهد عبد الله التل - والمهم أنه عندما أصدر الدكتور أحمد شلبي كتابه ذلك ، اتصل به الروتاريون بين وعد ووعد لتخفيف اتجاهه نحوهم ، فلم ينالوا شيئا ! . .

لكنهم - كما يحكى الدكتور - قد أوعزوا بعد كتابته وكتابة الأستاذ أنيس منصور - إلى كبير من كبرائهم فى الصحافة ، فكتب يمدح « الروتاريين » فى مجلة الإذاعة المصرية عدد ١٨-٣-١٩٧٣ . . وقد خذله الله فيما كتب ، فكشف - من حيث لا يشعر - عن حقيقة الروتاريين كفرع ماسونى ، إذ أنه تكلم عن الروتاريين فصورهم وكأنهم (ماسون) مائة فى المائة ، ومن له أقل فكرة عن أساليب الماسون وتكوينهم يحس أنهم والروتاريين سواء . .

الماسون يريدون استغلال الدولة :

وقد عمد الماسون إلى محاولة خداع الدولة فى مصر ، والتظاهر بمظهر العمل المشروع ، فجاء كبير من كبرائهم وقابل رئيس الوزراء (ممدوح سالم) فى مكتبه ، وبرزت صورة اللقاء المشترك فى الصحف . . ثم عمدوا - فى جو مبادرة السلام - إلى عقد مؤتمر لهم أخذوا يعلنون عنه بكل السبل . . ويجرون إليه الشخصيات الرسمية بغية تضليل الرأى العام عن حقيقتهم .

فقد جاء فى جريدة الأهرام بتاريخ ٣١-٣-٧٨ تحت عنوان : مؤتمر الروتارى تحت رعاية الرئيس السادات - ما يلى :

« يبدأ في الإسكندرية يوم الخميس القادم مؤتمر الرونارى لمنطقة الشرق الأوسط ، الذى يعقد تحت رعاية الرئيس أنور السادات ، ويحضر افتتاح المؤتمر السيد ممدوح سالم رئيس الوزراء ، ويشترك فيه نحو ٣٠٠ من الروتاريين في مصر والسودان ولبنان والأردن والبحرين . »

وفى جريدة الأهرام عدد ٦-٤-٧٨ ورد ما يلى تحت عنوان : « رئيس الوزراء في مؤتمر الروتارى بالإسكندرية » :

« عبد الثواب هديب محافظ الإسكندرية يفتتح اليوم مؤتمر الروتارى نيابة عن الرئيس أنور السادات الذى يقام المؤتمر تحت رعايته ، ويشترك في المؤتمر ممثلون عن نوادى الروتارى بمصر والسودان والبحرين والأردن ولبنان وسوف يحضره ممدوح سالم رئيس الوزراء ومحب استينو وزير السياحة وروبرت مانشستر ممثل رئيس الروتارى الدولى » !!

وفى ١٤-٤-٧٨ نشرت الأخبار نص برقية شكر من الدكتور جمال الدين مسعود محافظ منطقة الروتاريين ، توجه بها نيابة عن المؤتمر إلى الرئيس أنور السادات لوضعه المؤتمر تحت رعايته . . وكانت هذه البرقية بمثابة رد على برقية بعث بها الرئيس السادات إلى مؤتمر الروتارى بالإسكندرية قال فيها : أنه يأمل أن يسود السلام كل العالم وأن توجه الجهود في بلدان العالم إلى توفير الطعام والأمن للشعوب بدلا من المدفع والدبابة !! كما أشاد فيها بمبادئ الروتارى ومثله العليا التى تقوم على اعزاز كل عضو بعمله وهو ما ندعو إليه في مصر !

ونحن نهيىب بالمسؤولين في الدولة ، وعلى رأسهم الرئيس أنور السادات . أن يفرقوا بين الدعوة إلى سلام قائم على الحق مع حفظ ديننا وأرضنا كاملة الولاء لأوطاننا وأمتنا ، وبين ترك الحبال على الغارب للمجموعات الصهيونية المشبوهة التى لا عمل لها إلا تخدير شعبنا حضاريا ، وتأهيله لقبول الأفكار الصهيونية التى تعمل بتخطيط عالمى على تجريد الشعوب من خصائصها ومقوماتها ، فضلا عن رصدتها لاتجاهات الرأى العام ، وتحليل الآراء ، واستخلاص النتائج ، واختيار العناصر التى تصلح لخدمة الصهيونية إن عاجلا وإن آجلا .

الاحمّة الخامسة

المؤتمرات الإسلامية ومأزق الاستهلاكية الإعلامي
وطريق جديد

طريق جديد للمؤتمرات الإسلامية

تمهيد :

لعل أخطر ما يواجه أمة من الأمم أو حضارة من الحضارات في مرحلة
النشأة والتكوين أو « الولادة الجديدة » التي تسمى « بالنهضة Renaissance »
- هو التحديد الواضح السليم لتلك النقطة التي تبدأ منها مسيرتها . . .

فالدعاية الصحيحة لطريق التطور والتحضر تمثل أكبر عبء يجب أن
يضطلع به هؤلاء الذين يتصدرون لقيادة الأمة والانتقال بها من السكون
إلى الحركة . . . ومن سهولة التبعية إلى القدرة على تحمل المسؤولية . . . ومن
الفوضى والتخبط إلى النظام والتخطيط الواعي الشامل .

وليس تحديد نقطة الولادة الجديدة لأمة من الأمم بالأمر السهل الذي
تصلح معه تلك الكلمات الشاعرية أو الارتجالية أو الخطابية الحماسية . . .
فإن قضايا التاريخ لا تخضع لهذا كله . . . بل هي خاضعة لموازن وشروط
دقيقة كل الدقة وخطيرة كل الخطورة .

وبدون أن نعقد المصطلحات التي نستعملها والمضامين التي يتطلب الأمر
تقديمها ، فإننا نضع هذه الشروط كأساسيات أيجابية تحتم الوعي بها عند
البحث في نقطة البداية لأمة من الأمم :

(أ) الوعي الكامل بسنن الله الكونية الثابتة .

(ب) استيعاب روح العصر الذي تبدأ الأمة منه المسيرة وتحديد الموقف
الملائم من قضايا العصر .

(ج) الوعي بالتكوين النفسى والتاريخى والفكرى للأمة ، أو ما يسمى
بمكان الأمة والمركز الحضارى الذى يضعها تاريخها وراثتها فيه . .

(د) وفوق ذلك وقبله لا بد من الوعي بتلك « العقيدة الدافعة » التى يمكنها
أن تربط بين العناصر الثلاثة السابقة . . ويمكنها فى الوقت نفسه أن
تضمن أكبر ولاء جماهيرى يقدم أقصى ما يمكنه من عطاء ، سواء
فى جانب الالتزام بالمبادئ ، أو فى العطاء المادى والثقافى الذى يعتبر
انعكاسا للجانب العقدى والأخلاقي .

* * *

إننى موقن بأن هذه المقدمة ضرورية عند الحديث عن أية قضية من
قضايا التطور .

وهى ضرورة تنسحب على كل مظهر من مظاهر العلاج لأزمة التطور
الحضارى فى الوطن العربى أو الأمة الإسلامية . .

وبدون الوعي الموضوعى بمضمون هذه المقدمة — فإن ولوج باب الحوار
سيبدو عملاً مبتور الجذور . . عفوى البداية . . جدلى الوسيلة والنهاية . . .
لا يصل إلى معالم واضحة منسجمة سليمة .

وانطلاقاً من التصور الواعى بالحقائق السالفة الذكر ، أتناول — فى
علمية محايدة — ظاهرة المؤتمرات الإسلامية . . تلك التى تحتل جزءاً هاماً
من نشاط وجهود المتصدرين لتحضير الأمة الإسلامية . . وتحريك مسيرتها
فى الاتجاه المنسجم مع شروط الحضارة ومعطيات التاريخ .

وفى البداية أطرح هذين السؤالين :

* ما موقع المؤتمرات الإسلامية فى قضية إنهاض الأمة ؟ وما أسباب
قصورها بالتالى ؟

* وما الطريق — فى ظل الواقع الإسلامى — لىكى تؤدى هذه المؤتمرات
دوراً إيجابياً ؟

الموقع التاريخي للمؤتمرات الإسلامية وأسباب قصورها :

ونبدأ بالإجابة على السؤال الأول - من وجهة نظرنا - بإجراء مقارنة سريعة بين هذه المؤتمرات الإسلامية وبين المؤتمرات التي قام بها - ويقوم بها - اليهود منذ قرروا - في ظل التخوم التي تفصل بين القرنين الثالث عشر والرابع عشر للهجرة - أن ينشئوا لهم وطنا في فلسطين . . .

لقد كان هناك هدف واضح محدد . . . يخضع « لبروتوكولات حكماء صهيون » ويسعى إلى تحقيق حلم بني إسرائيل في احتلال وطن له قداسة دينية معينة عندهم وله امتداد - من وجهة نظرهم - في تاريخهم وأعماقهم ، وهو - في النهاية - يحقق كل أهدافهم المناسبة في الماضي والممتدة في الحاضر والمستقبل . . .

ولسكى يحقق اليهود هذا الحلم فقد عقدوا سلسلة من المؤتمرات على مستويات مختلفة .

وانطلاقاً منها نجحوا في تحقيق كل أغراضهم بدءاً من إنشاء الجامعة العبرية وانتهاء بما وصلوا إليه من سيطرة على فلسطين ، وعلى أجزاء أخرى من الوطن العربي ، فضلاً عما يحلمون به على المدى البعيد !!

ونحن لن نتحدث عن مؤتمر بال المنعقد في سويسرا سنة ١٩٨٩ ، فليس هذا المؤتمر الذي اشتهر أمره إلا حلقة من سلسلة طويلة من المؤتمرات الصهيونية !!

لقد عقد المؤتمر الصهيوني العالمي الأول بعد أن نشر (تيودور هرتزل) كتابه المعروف - الدولة اليهودية - في برلين ١٨٩٦ م . . .

ومنذ ذلك الحين والمؤتمرات الصهيونية تتوالى مرة أو مرتين في العام . . حتى يبلغ عددها في سنة ١٩٣٩ (سنة قيام الحرب العالمية الثانية) واحداً وعشرين مؤتمراً . . لم تنقطع خلالها المؤتمرات إلا في سنوات الحروب . . وحين

توجد ظروف « استراتيجية » توجب هذا الانقطاع ، مع الأخذ في الاعتبار أن هذا العدد من المؤتمرات كان يسير بصورة رتيبة منظمة ، وهو غير تلك المؤتمرات التي كانت تعرف بالمؤتمرات الصهيونية العالمية التي كانت كثيراً ما تتمخلل هذه المؤتمرات المنتظمة لتنظر في أمر مصيري تفرضه الأوضاع التي تؤثر على مسار الحركة الصهيونية وآمالها في الاستيلاء على فلسطين !!

والجدير بالتأمل أن هذه المؤتمرات كانت تعقد في ظل اعتبارات محددة :

• فهناك الهدف الواضح المحدد (حتى وإن كان هناك اختلاف على الوسائل) .

• وهناك الإصرار - بالمال والنفوس - على تنفيذ هذا الهدف .

• وهناك مشكلات محددة عاجلة تتطلب حلولاً قريبة عاجلة لا تنفصل عن الهدف البعيد .

• وهناك وعي بتقلب الظروف العالمية واستغلال لهذا التقلب .

• وهناك حشد لكل الإمكانيات ، وتخطيط منظم لاستغلالها .

• وهناك تقويم للمؤتمرات الماضية . . ووصل لها بالمؤتمرات اللاحقة .

• • •

إنه ليخيل إلى أن مدلول مصطلح « مؤتمر » يتطور ، تبعاً لتطور مستوى إرادة الأمة ، ووعيا الحضارى . . ففى ظل الإرادة الخاملة المبعثرة المشتتة ، تصبح كلمة « مؤتمر » . . مجرد مظهر مبهافت . . . قوى الدلالة على المستوى الحامل النهار للأمة . . أما إذا كانت الإرادة أكثر قوة وإيجابية فإن المؤتمرات قد تسهم فى رفعها إلى المستوى المطلوب .

وإن الفرق بين المؤتمرات التي تعقدها الأمم القوية والمؤتمرات التي

تعقدها الأمم النامية أو المتخلفة لينبع من اختلاف هذه الوضعية !!!!

لقد عفدت على امتداد الساحة الإسلامية خلال القرن الرابع عشر للهجرة مؤتمرات تربو عدة مرات على تلك المؤتمرات التي عقدها اليهود خلال الفترة نفسها .

لكن النتيجة كانت مختلفة تماماً كما هو معلوم ، بحيث لا يصبح نجنياً كبيراً الحكم بأن موقع هذه المؤتمرات في قضية إنهاء الأمة موقع متأخر جداً .
— فما الأسباب الحقيقية لهذا يا ترى ؟

— إن أبرز الأسباب — بالطبع — هي تلك التي ذكرناها حول ضعف الإرادة والوعي وحول غموض الأهداف وافتقار التنظيم والتخطيط البعيد المدى وفهم الأخطاء المحيطة والتقلبات العالمية

لكن يبقى — مع ذلك كله — أن هناك أسباباً أخرى أكثر مباشرة وتأثيراً

* فن هذه الأسباب أن هذه المؤتمرات تخضع في توجيهها الأعلى للدولة الداعية !!!

* بل من هذه الأسباب أن هذه المؤتمرات تخضع في تمويلها لهذه الدولة أو تلك (يلاحظ هنا الأهمية الكبرى للمؤتمر الإسلامي الحر . . . مؤتمر الحج) .

* ومن هذه الأسباب أن هذه المؤتمرات في أغلبها مؤتمرات جزئية غير مرتبطة بخطة كلية . . . فهذا مؤتمر للسيرة . . . وذلك للفقهاء . . . وثالث للاقتصاد . . . ورابع للمسجد . . . وخامس للتقارب المسيحي الإسلامي . . . وسادس بلا هوية واضحة ولا جدول أعمال واضح وإنما أقيم لأمر ما . . . وليقال فيه ما تجود به القرائح . . . وهلم جرا .

* ومن أسباب قصور المؤتمرات أيضاً انفكاك الصلة بين بعضها البعض وعدم اهتمامها بالتوصيات السابقة للمؤتمرات الإسلامية ، ولا سيما المشابهة .

* ومن الأسباب كذلك أن هذه المؤتمرات غير ملزمة من ناحية قراراتها

وتوصياتها لا للحكومات ولا للمؤسسات ذات الشأن . . . وهذا - الاستعداد الشديد - عكس الأسلوب المتبع في مؤتمرات أعدائنا . .

وإني لأذكر - على سبيل المقابلة - فقرة واحدة صدرت عن المؤتمر الدولي السادس للحزب الشيوعي المنعقد في عام ١٩٢٨ م حول الموقف الشيوعي من الدين . . محددة أن « الحرب على الدين - أفيون الشعوب - ينبغي أن تشغل مكاناً هاماً بين أعمال الثورة الثقافية . . . ويلزم أن تستمر هذه الحرب بإصرار وبطريقة جديدة منظمة » . .

هذه الفقرة حركت جيوشاً من عملاء الثورة الثقافية لاستعمال أبشع الوسائل لتحطيم الدين والمتدينين . . حتى بلغت في ذلك غايتها . . .

- فهل ثمة قرار خرج عن مؤتمر إسلامي - على أى مستوى - حرك الجماهير المؤمنة على هذا النحو !!؟

« ومن أسباب القصور أيضاً جنوح هذه المؤتمرات إلى لون من الإسراف الإنشائي البغيض ، مما يجعل توصياتها مجرد أحلام ومثاليات لا ترتبط بالواقع . . . وحسبنا أن نعلم أن مؤتمراً أخيراً قد انبثقت عنه توصيات تقرب من الثمانين !!

« ومن أهم أسباب عجز هذه المؤتمرات عن تحقيق الفعالية المطلوبة - هو بناؤها الداخلي نفسه . . . أعضاؤها . . .

فالبنية الداخلية للمؤتمرات الإسلامية الفكرية تتكون غالباً من أعضاء تنفيذيين ، قلما يصلون إلى درجة القدرة على فرض آرائهم . . بل كثيراً ما تتكون هذه البنية من أعضاء تختلف تصوراتهم للإسلام بمقدار الاختلاف « الأيديولوجي » والسياسي بين نظم أوطانهم . .

وحتى مع افتراض وحدة التصور فإن إمكانية تطبيقهم . . . يبراه على مستوى مجتمعاتهم المغزوة فكرياً - أمر فيه نظر .

– لقد نظرت إلى قائمة المدعوين لمؤتمر ما . . فوجدتها من الكثرة والتباين بحيث أدركت أن من الصعب جداً أن يقيم هؤلاء تخطيطاً لعمل إسلامي موضوعي مركز في أى اتجاه من اتجاهات الإصلاح . .

– وفي الآونة الأخيرة أصدرت حكومة لبلد إسلامي كبير قراراً بأن تكون كل الدعوات الإسلامية (وغير الإسلامية للتسوية) عن طريقهم . .
ومعنى ذلك بوضوح أن هؤلاء الذين سترشحهم هذه الحكومة لحضور المؤتمرات الإسلامية سيمثلون هذه الحكومة أكثر من تمثيلهم للفكرة الإسلامية !!

إننى هنا أريد أن ألمح إلى حقيقة هامة . .

فإيه على الرغم من اختلاف اللغات والأوطان لليهود . فقد نجحوا في تحقيق أهدافهم لأنهم ينطلقون من « أيديولوجية » واحدة ، وشعور واحد ، وأمل واحد .

ومع الوعي بكثير من التحفظات يمكن القول بأن الشيوعيين قد نجحوا منذ سنة ١٩١٧ في تحقيق تقدم عالمي . . لنفس الأسباب التي نجح من أجلها اليهود . . حتى وإن وضحت وهيتها فيما بعد .

أما التجمعات الأخرى التي تنتظم العالم الآن . . دون أن يتوفر لها أساس « أيديولوجي » وشعوري – فقد ثبت فشلها . . وجامعة الدول العربية . ومنظمة الوحدة الإفريقية . . وكذلة عدم الانحياز . . كلها من الأمثلة الدالة على ذلك .

وبالتالي فالمتوافر للمؤتمرات الإسلامية بكل وضوح : « الأيديولوجية الحركية » والشعور الواحد . . والأمل الواحد . فإن مصيرها سيكون كصير المؤتمرات التي تعقدها المنظمات السالفة الذكر !!

وإن الانتماء الرسمي للإسلام ، أو للمنظمات الإسلامية ، أو للعلوم

الإسلامية - ليس كافياً لتوفير هذه الثلاثية الضرورية : العفيدة . . والوجدان . . والأمل والمصير .

• • •

إن هذه المؤتمرات - في ظل وضعيتها الراهنة - تفقد كثيراً من جدواها .
ولسكى تحتل هذه المؤتمرات موقفاً حيويًا يتوجب أن تخضع لتقويم
جديد ، ولروية جديدة تخلصها من كثير مما يعوق عطاءها .

وكما رأينا من مسيرة اليهود خلال هذا القرن ، فإن المؤتمرات يمكن أن
تتحول إلى أداة قوية لو تخلصت من هذه المعوقات ، ولو انطلقت حرة
خالصة تبحث عن علاج لأزمة التطور الحضارى للأمة الإسلامية في مجالات
المرض المختلفة !!

موقف المسلم من المؤتمرات :

سنعالج بإذن الله في الصفحات التالية . . ما يتعلق بالمؤتمرات الإسلامية
في مستوياتها المختلفة ، مركزين على المؤتمرات الفكرية . . ومقدمين معالم
طريق جديد - من وجهة نظرنا - للمؤتمرات الإسلامية . أى أن الصفحات
التالية سوف تحمل الإجابة على السؤال الثانى الذى طرحناه ، وهو :
« ما الطريق - فى ظل الواقع الإسلامى - لسكى تؤدى هذه المؤتمرات دوراً
إيجابياً ؟ . . »

- لسكننا - قبل ذلك - نجد أنفسنا مضطرين للإجابة عن سؤال آخر
يرتبط بهذا السؤال الأساسى ، ويمهد له . . وهو :

- ما موقف المسلم - فى ظل الواقع الإسلامى بكل ما يحمله هذا الواقع
من ملامح - تجاه هذه المؤتمرات ؟

- وواضح - بقليل من التمعن - أن البناء الداخلى للسؤال - يوحى

بأن الواقع الإسلامى ينتمى إلى تلك الحالة التى أطلقنا عليها حالة « الإرادة
الحامدة المبعثرة » وبالتالي فهذا الواقع غير قابل للعطاء الحقيقى فى ظل تركيبه
التففى غير المنسجم !!

– لكن هل يعنى ذلك أن يعطل المسلم دولاب كل حركة ثقافية أو
اجتماعية إصلاحية أو شبه إصلاحية (كالمؤتمرات مثلا) – وبالتالي يقف
سلياً منزوياً . . . حتى يتغير تركيب هذا الواقع الإسلامى وفق الأسس المنسجمة
مع الإرادة المبدعة للحضارة ؟

– ألا يعنى ذلك أن المسلم قد غرق فى وحل العلاقة الجدلية التى تربط
البيضة بالدجاجة ؟ أو إلى ذلك الوحل الآخر الذى تردى فيه هؤلاء الذين
يسقطون إقامة الصلاة حتى يقوم المجتمع الإسلامى الموافق لتصوراتهم ؟

– إن القضية تحتاج من المسلم إلى أن يتساءل من زاوية ثالثة : ألا يمكن
أن تكون هذه الحركات شبه الإصلاحية – ومنها المؤتمرات – مجرد بدائل
للعلاج الحقيقى الجذرى ، تمنحها أبنية فوقية ترفض أن تتعاطى بمجتمعاتها
العلاج الحقيقى للداء الخبيث . . . وتعتمد إلى بعض المسكنات والمهدئات ؟

– وإن التاريخ لقادر – ولا سيما المعاصر – على إسعافنا بنماذج من
تلك البدائل التى قدمتها الأبنية الفوقية للشعوب الإسلامية ، كلما أوشكت هذه
الشعوب – فى بعض ساعات العسرة – أن تمسك بنحيط العلاج الحقيقى
المنتقدها من ورطتها الحضارية . . .

والطرق الصوفية التى لعبت دوراً خطيراً فى الجزائر قبل الاستقلال ،
وفى مصر إبان الحكم الدكتاتورى الانقلابى – أبرز دليل على ذلك . . . !!

والأجهزة الإسلامية « الاسمية » التى كان رعاها الاستعمار ، أو
رعاها الحكومات « الاشتراكية » دليل آخر يقدم فى هذا السبيل .

• • •

يها فى الحقيقة مبادلة صعبة يواجهها الإنسان المسلم فى هذا العصر .

ومع ذلك . . فطبيعة الإسلام وتجربته التاريخية الحية يقدمان للإنسان المسلم الزاد الكافي للسباحة في كل البحار الصعبة .

وفي هذا الموقف يقدم التصور الإسلامي ثلاثة خيوط لا بد أن يمسك بها المسلم في آن واحد :

أولاً : إن الإنسان المسلم - من حيث جذره الإسلامي - يجب أن يتعامل مع الكون والتاريخ على أساس « الإسلامية المتكاملة » وحدها . . وبالتالي ، فهو مطالب بأن يدفع بلا ملل أو ترقب للنتائج السريعة - عجلة الحضارة الإنسانية في اتجاه سنن الله الكونية التي تمثل في عطاياها الأخير قيم الحق والخير والجمال . . . بحيث يمكن أن تجد خلية الحضارة الإسلامية مهادها وتربها الصالحة لميلاد سليم . .

ثانياً : والإنسان المسلم ، إذ يحرك عجلة التاريخ بلا بأس في هذا الاتجاه الأساسى - عليه كذلك أن يقلق مضجع الباطل ، وأن يرشقه بما تجود به كنانته من سهام . . في ظل الظروف المتاحة . .

- وبهذا المنظار يقتحم الإنسان المسلم - كل المجالات ، سواء كانت مؤتمرات جزئية ، أو ترقيعات لبعض الأوضاع ، كقضية إعادة الإنسان المسلم إلى نظامته في بعض البلدان ، وكقضية تحريم الخمر ، أو تطبيق الحدود ، أو « قانون من أين لك هذا » - أى مشروعية الثروة - أو التصنيع ، أو إحياء رسالة المسجد . . . في بعض البلدان الأخرى .

إن هذه الإصلاحات - في واقع الأمر - مجرد أجزاء ترقيعية في تصور ووعى المسلم ، وهي لن توثق ثمارها إلا في ظل الإسلامية المتكاملة . . . هذا حق . .

ومن الحق الذى ينضم إلى هذا التصور كذلك أن الإنسان المسلم يعى أن « ميلاد حضارة » لا يمكن أن يخرج من حلقة توصيات أو قرارات أو شعارات . . وإنما يخرج من محض الحضارة الوحيد الذى يتشكل من عناصر

أبررها وأفراها : « إن الله لا يعبر ما يقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » . . .
أى عنصر إطلاق الإرادة من إفسار الحمول والتشتت والاستسلام .

كل هذا حق فى التصور الإسلامى :

– لكن من الحق كذلك ، ضرورة تطبيق هذا الحديث الشريف الصحيح : « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده . . فن لم يستطع فبلسانه ، فن لم يستطع فبقلبه . . وذلك أضعف الإيمان . » .

فهذه مستويات مرحلية للتغيير معترف بها كذلك ، وهى منسجمة -- على المستوى البعيد – مع التغيير الحضارى الكلى المنشود ، ذلك الذى يمثل البداية الصحيحة والوحيدة .

ثالثاً : وهذا الإنسان المسلم – مع هذا الوعى بالحقيقة التاريخية الكبرى ، ومع الاسهام فى التغيير المرحلى – عليه كذلك اسقاط البدائل المطروحة وإجهاضها . . .

ويكون ذلك عن طريق الإصرار على التمسك بالحقيقة الكبرى وبالجدور الحضارية . وبتحويل هذه البدائل إلى فرص لصالح مبادئه وتصوره . . .
ينفذ منها بأكبر قدر ممكن إلى خدمة أهدافه . .

– فإذا راحت دولة إسلامية – مثلاً – تعقد مؤتمراً إسلامياً بمناسبة « قرب الانتخابات » كى تكسب أصوات الدهماء ، فلا ضير من حضور الإنسان المسلم هذا المؤتمر ، والعمل على توجيهه . . بل إن فى الإمكان توجيهه ضد عملية التزوير نفسها . . !!

– والأمر نفسه إذا عقدت دولة أبرز معالم حكمها تدمير قوانين الأحوال الشخصية الإسلامية والشريعة كلها – « أسبوعاً » لفقهاء . . فإن على المسلم – أيضاً – أن يكون الكيس الفطن القادر على توجيه هذه الفرصة ضد أعداء الشريعة الإسلامية ، حتى ولو كانوا الداعين للمؤتمر !!

* * *

إن هذه الخيوط الثلاثة سالفه الذكر ندلنا على طبيعة الأسلوب الذي يتعامل به الإنسان المسلم مع ما يجري الآن من أنشطة في العالم الإسلامي كله . . ومنها المؤتمرات الإسلامية ، بيت القصيد في هذا الحديث .

المؤتمرات الإسلامية . . . تقويم وتوجيه :

ونعود للسؤال الأساسي الذي لا يزال مطروحاً :

— ما الطريق لكي تحقق هذه المؤتمرات دوراً إيجابياً في ظل الواقع الذي ألمنا إليه سلفاً ؟

إننا هنا نجد أنفسنا مضطرين لتصنيف هذه المؤتمرات وفق مستوياتها المختلفة . .

(١) مؤتمرات القمة :

فهناك مؤتمرات على مستوى القمة (الملوك والرؤساء) وهذه المؤتمرات لا مجال لتفصيل الحديث عنها في هذه الصفحات . .

ومع أن مؤتمرات إسلاميين فقط قد عقدا على هذا المستوى خلال العصر الحديث — فإن الأمل كبير في أن تستمر مسيرة مؤتمرات القمة الإسلامية ، بما ينبثق عنها من مؤتمرات وزراء الخارجية ، أو المالية . لكن المرجو كذلك أن تكون هذه المؤتمرات دورية على المستويين ، وألا يبقى انعقادها خاضعاً لظروف طارئة . .

فن المعروف أن مؤتمر القمة الإسلامي الأول « مؤتمر الرباط » — الذي عقد في سبتمبر ١٩٦٩ م — على إثر إحراق إسرائيل للمسجد الأقصى — كان رد فعل لهذا الاستفزاز اليهودي للمشاعر الإسلامية ، وبالتالي ، فإنه لم يسبقه إعداد مناسب أو دراسات كافية ، ولم يكن لدى المؤتمرين جدول أعمال محدد ، اللهم إلا قضية القدس .

ولم ينته هذا المؤتمر - نتيجة هذا - إلى إصدار أية قرارات ، وإنما تركزت قيمته في أنه إعلان عن منعطف جديد . هي سياسة التضامن الإسلامي التي غرس بذرتها شهيد الإسلام « الفيصل » رحمه الله رحمة واسعة .

لكن مؤتمرات أربعة على مستوى وزراء الخارجية قد تلت هذا المؤتمر . (جدة ١٩٧٠ م ، وكوالا لامبور ١٩٧١ ، وجده - مره ثانية - ١٩٧٢ م ، وبغافازي ١٩٧٣) - فأعطت هذه المؤتمرات الأربعة قيمة جديدة لمؤتمر الرباط ، بالإضافة إلى نتيجة تنظيمية أخرى قد يكون لها تأثير في المستقبل الإسلامي ، وهي إنشاء ما يعرف بمنظمة المؤتمر الإسلامي التي كانت - أيضاً - إشارة جديدة لمنعطف التضامن الإسلامي العظيم .

أما مؤتمر لاهور (٣٠ محرم ١٣٩٤ م - ٢٢ فبراير ١٩٧٤ م) فقد توافرت له ظروف صالحة لم تتوافر لمؤتمر الرباط . . وبالتالي ، فقد مثل أكبر تجمع إسلامي في العصر الحديث (٢٨ دولة) كما مثل أقوى نبض في مسيرة المؤتمرات الإسلامية ودورها في تحقيق البعث الإسلامي الوشيك بإذن الله !!

(ب) مؤتمرات مشبوهة :

تبنى أحياناً جهات غير إسلامية ، أو إسلامية موجهة توجيهاً غير إسلامي ، عقد مؤتمرات ذات طابع فكري إسلامي .

وهذه المؤتمرات يعد لها إعداداً جيداً ، وتتوافر لها إمكانات كبيرة . ويخطط لها تخطيطاً عصبياً ، وهي تنفرد - عموماً - بمميزات خاصة منها :

• فهي تحدد سلفاً أهدافاً « استراتيجية » .

• وهي تمون من جهات غير علمية .

• وهي تسعى إلى توجيه الأفكار في العالم الإسلامي عن طريق إثارة مشكلات بعينها ، والتركيز عليها .

• أو تسعى إلى استكشاف الأفكار التي تهب في العالم الإسلامي .
والتي قد تحرك تيارات عقدية أو سياسية .

• وهي تدعو - من العالم الإسلامي - أناساً بعينهم أو هيئات بعينها ،
لسكى تصل إلى غرضها بيسر .

ونحن لن نقف عند الحدث الأخير ، « مهرجان لندن » ١٣٩٦ هـ ،
والشخصيات التي خططت له وقادته بذكاء شديد من أمثال « سير هارولد
بيلى » - سفير سابق لبريطانيا لدى السعودية وشخصية سياسية معروفة ،
و « لورد كارادون » - شخصية سياسية دبلوماسية تقلبت في مناصب سياسية
خطيرة - ، و « سير أنتوني باتنغ » - وزير خارجية سابق لبريطانيا ،
إلى آخر هذا الطراز من الشخصيات !!

قلت . . إني لن أقف عند هذا المهرجان لأن اقتناعي الشخصي أن هذا
المهرجان مشروع سياحي تجارى أكثر منه أى شىء آخر . . . ومثاه
- بالتالى - ليس مناط بحثنا . .

وحسبى أن أقف وقفة وجيزة عند ما يسمى باندوات الحوار الإسلامى
المسيحى ، وذلك لثقتى التامة فى أنها تنلجج تحت قائمة المؤتمرات المشبوهة ،
لأنها على الأقل لا تحترم توصياتها من الجانب المسيحى من الناحية العملية ؛
ولأنها كذلك حوار بين الأقوياء والضعفاء ، ولأنها أيضاً لم تبرز إلا فى
ظروف معينة . . . بقصد الإسهام فى تحقيق أهداف معينة (١) .

وأماى الآن وأنا أكتب هذه السطور التوصيات الأربع والعشرون المنبثقة
عن آخر ندوة عقدت للحوار الإسلامى المسيحى فى مدينة طرابلس بليبيا ،
فى الفترة الواقعة ما بين الأول والسادس من شهر صفر عام ١٣٩٦ هـ .

وإن النظرة الفاحصة فى هذه التوصيات لتكشف عن استغلال الجانب

(١) انظر موضوع أمريكا تطوق العالم الإسلامى من الفصل الأول .

المسيحي لها أكبر استغلال - بغية ضرب التصورات الإسلامية الصحيحة في الصميم .

* فالتوصيات الثماني الأولى - في رأيي - هي لصالح المسيحيين ؛ لأنها تخلط في التصور الاعتقادي بين المسلمين والمسيحيين على قدر سواء ، مع أن هذا غير صحيح . . وفيها أيضاً تكتيل للجانب الإسلامي ضد قوى معينة لخدمة الأهداف الاستعمارية وحدها . . ولن يصيب الجانب الإسلامي منها أى خير .

* والحقوق الإنسانية الإسلامية ضائعة في زحمة هذه التوصيات الكثيرة ولم ترد إلا إشارة مائعة عن شعب فلسطين المسحوق .

* وهناك عدة توصيات تسوى بين المسيحية والإسلام في كثير من القضايا التي لم تهتم بها المسيحية ، بل كانت - تاريخياً - من أكبر العيوب المأخوذة عليها ؛ كموقفها من العلم ، والتصور الكوني ، والتنظيم الحياتي .
* وهناك دعوة مسيحية للمسلمين بأن يعيدوا النظر في فهم الإنجيل .

* وهناك تضليل متعمد في التوصيتين رقم ١٨ ، ٢٠ فالأولى تجعل الحرب اللبنانية حرباً غير دينية ، والثانية تفرق بين اليهودية والصهيونية بنفس المنظار السياسي الذي يخدم اليهود ومصالحهم .

* * *

وبنفس الإيجاز أتناول نموذجاً آخر للمؤتمرات التي تظللها غيوم الشك ، وهو « المؤتمر الدولي عن الإسلام وباكستان وإيران ودول الخليج » . ومن خلال الرصد للقضايا التي عولجت وكتابها سيتضح لنا الانباء «الاستراتيجي» لهذا المؤتمر والقائم عليه .

- فن الموضوعات التي عولجت : نهضة الإسلام بمنظور عالمي للدكتور « رالف بريانتي » - أستاذ العلوم السياسية في جامعة ديوك .

— ومن الموضوعات : « ما يواجه الإسلام من مشكلات في لبنان كدولة ذات نسبة كبيرة من السكان غير المسلمين » للدكتور حسن صعب .
وللعلم . . . فإن التسليم بالنسبة الكبيرة لغير المسلمين في لبنان — خطأ ، كما أن « حسن صعب » . . . كاتب تقدمي أشراكي (ومن كتاب مجلة مواقف البيروتية) !!

— ومن الموضوعات : « التغيير في أنماط وأشكال القوة في جنوب آسيا منذ عام ١٩٧١ وأثارها على العالم الإسلامي » لغلام وحيد شدوري — أستاذ العلوم السياسية ومدير الدراسات الدولية في جامعة كارولينا الشمالية .
فهذه الموضوعات وغيرها مما يخدم قضايا « استراتيجية غربية » أكثر مما يخدم العالم الإسلامي أو الفكر الإسلامي .

ومن هنا فلم يكن غريباً أن تنفق على هذا المؤتمر وزارة الخارجية الأمريكية . . . !!

ولا يجوز أن يعيننا عن الطبيعة الحقيقية لأمثال هذه المؤتمرات وما تنشع به من أودية المنهج العلمي . . . أو وجود بعض عناصر إسلامية فيها . . . فهذا داخل في إطار السياسة الاستعمارية لتمويه حقيقة الصراع الفكري .

المؤتمرات الفكرية الإسلامية (تقويم وتوجيه) :

إن المؤتمرات التي تعيننا بالدرجة الأولى — في دراستنا هذه ليست هي المؤتمرات السياسية في مستوياتها المختلفة ، ولا تلك المؤتمرات المشبوهة التي تتلمس وسائل الانقضاض على العالم الإسلامي . . . وذلك لأن هذين النوعين من المؤتمرات يحتاج الحديث عنهما إلى تناول تشريحي لهيكل العالم الإسلامي كله في العصر الحديث .

وإنما الذي يعيننا هو تلك المؤتمرات « الإسلامية الفكرية » التي تتبناها مؤسسات إسلامية أو علمية أو جهات رسمية أو شعبية .

وفي البداية أحب أن أعيد ما قررته سلفاً من أن مسيرة هذه المؤتمرات - إلى الآن - لا تكشف عن آثار ذات شأن ، تسهم بها في عملية التطور الحضارى للأمة الإسلامية .

- وما دراستى هذه إلا محاولة لتخطى هذا الحاجز التقليدى ، كى يحقق هذا النوع من المؤتمرات عطاءً إيجابياً ، وسى تكون هذه المؤتمرات - حقيقة لا ادعاء - وسيلة من وسائل تقدم الأمة الإسلامية ورقياً .

معالم طريق جديد « واقعى » لهذه المؤتمرات :

ولكى تحقق هذه المؤتمرات أغراضاً عملية ، فإن من الأفضل للمؤسسات القائمة عليها ، أن تعقدتها بغية الوصول إلى رأى شامل حول نقاط محددة . وبهذا التصور أحل وأقوم بعض المؤتمرات . . . ذاكراً ما أراه فيها من إيجابيات وسلبيات .

وانطلاقاً من هذا فإننى أرى أن أفضل الموضوعات المطروحة للبحث فى مؤتمر الفقه الإسلامى الذى هيمنت على إعداده جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (١ - ١١ - ٩٦ هـ) - هو موضوع « الشبهات التى تثار حول تطبيق الشريعة » فهذا موضوع محدد لا تنسحب عليه هذه العمومية التى تنسحب على موضوعات مثل « أثر تطبيق الحدود الشرعية » أو « الاجتهاد » ، أو « نظام القضاء » ، أو « الغزو الفكرى » ، أو « الإعلام » - فإن كل موضوع من هذه الموضوعات يكاد يكون فى حاجة إلى مؤتمر مستقل !!

وبالمنظار نفسه أرى أن أفضل ما توصل إليه مؤتمر الاقتصاد الإسلامى العالمى المنعقد فى مكة (٢١ - ٢٦ صفر ١٣٩٦ هـ) بإشراف جامعة الملك عبد العزيز - هما هاتان التوصيتان اللتان تنص أولاهما على « حصر المراجع والمصادر المتعلقة بالاقتصاد الإسلامى عبر العصور الإسلامية » .

وتنص ثانيتهما على أن « تنشئ جامعة الملك عبد العزيز ضمن جهودها التأسيسية مركزاً لدراسة الاقتصاد الإسلامى » .

أما مؤتمر « رسالة المسجد » الذي عقدته رابطة العالم الإسلامي (١٥-١٨ رمضان ١٣٩٦ هـ) فإن أفضل ما توصل إليه - في رأئي - هو فكرة تكوين مجلس أعلى باسم « المجلس الأعلى للمساجد » .

كما كان مؤتمر التضامن الإسلامي في مجالات العلم والتكنولوجيا الذي أقامته جامعة الرياض (٢٠ - ٢٥ مارس ١٩٧٦ م) موفقاً في توصيته « بإنشاء مؤسسة للعلم والتكنولوجيا تهدف إلى القيام بالدراسات المستمرة ذات الطبيعة التخطيطية ، وإلى إنشاء معاهد بحوث علمية متخصصة . . . » .

- إن هذه التوصيات هي الاتجاهات والنتائج الأكثر واقعية وإيجابية وهي التوصيات التي يجب أن تحصر فيها جهودها تلك المؤسسات المهيمنة على عقد المؤتمرات التي تنتمي إلى هذا النوع .

ويرتبط بذلك أن يكون في وعي هذه المؤسسات أنها ملزمة - أدياً - بأن تكون هي القدوة في تنفيذ هذه التوصيات الواقعية المحدودة ، وأن تجعل هذه التوصيات جزءاً من سياستها العلمية وأهدافها القريبة والبعيدة .

ومع ذلك ، وإحفاقاً للحق وحده ، فإن هذه الآثار المحدودة للمؤتمرات سالفة الذكر تبدو وكأنها ومضات مشعة وسط ركود مسيطر على الطابع العام للمؤتمرات الإسلامية . .

- فإن مؤتمراً إسلامياً عقد في الكويت على مستوى وزراء الأوقاف لم يكن له صدى عملي ذو بال .

- وإن مؤتمرات كثيرة عقدتها - بمجهود مخلص - رابطة العالم الإسلامي تحتاج نتائجها وتوصياتها لمراجعة وتقويم عادل . . وبخاصة أن كثيراً من توصيات هذه المؤتمرات لم يخرج إلى حيز التنفيذ في أي مستوى من مستويات التطبيق . .

ويبدو الأمر أحياناً وكأن هذه التوصيات مناط تنفيذها بجهات أخرى . . أو كأنها إرشادات وتوجيهات . .

وكنموذج لهذا . . . فإن من بين وصايا المؤتمر الإسلامي الإفريقي الأول الذي عقد بدعوة من الرابطة في مدينة « نواكشوط » - عاصمة موريتانيا - (في الفترة من ٤ إلى ٦ من جمادى الأولى ١٣٩٦ هـ) - توصية تحث على « العمل على إعداد كتب مبسطة لأطفال المسلمين تمكنهم من فهم دينهم ، وتغرس فيهم روح المقاومة والحصانة » . . .

ومبلغ علمي أن الرابطة وزعت نشرة على الصحف الإسلامية تأمل فيها أن يعمل مديروها على إخراج هذه الكتب . . . أو الاتصال بالقادرين على إخراجها . . .

وهكذا تدور الأمور في حلقات مفرغة دون أن يخطط لمسيرتها بحيث تصل إلى نتائج حاسمة معروفة البداية والغاية . . . !!

- وهناك مؤتمرات عقدت في مصر قام بها جهاز منظم ، تمثل المؤتمرات معلماً كبيراً في نشاطه (مجمع البحوث الإسلامية) إلا أن أثرها لم يخرج عن دائرتين :

١ - دائرة البحوث التي تطبع وتوزع بمقابل مادي .

٢ - دائرة إصدار بعض الفتاوى التي لازالت تتصل بقضايا جزئية ، ولم تصل إلى حد إبداء الرأي في القضايا التي تلح على ضمير الإنسان المسلم ، مما فرضته طبيعة العصر الاقتصادية والاجتماعية . وقس على هذا النمط من المؤتمرات . . . مؤتمر العراق ١٣٩٥ هـ ، ومؤتمر تونس للفقهاء الإسلاميين (١١) ، ومؤتمر السيرة في باكستان ١٣٩٦ هـ . . . ومؤتمرات كثيرة أخرى في ليبيا وسوريا والمغرب وغيرها .

أما مؤتمرات الجزائر الدورية التي يطلق عليها « ملتقيات الفكر الإسلامي » فقد تميزت ببعض الخصائص التي تجعلها نهجاً متميزاً في أسلوب المؤتمرات الإسلامية . . .

• فهذه الملتقيات تقام كل عام منذ ثلاث عشرة سنة بصورة منتظمة .

• وهى تعالج موضوعات تاريخية وإسلامية . . كى تصل إلى رؤية إسلامية علمية فيها . . وعلى سبيل المثال فهى تلح على ثلاث نقاط لها أهميتها بالنسبة لكفاح الجزائر وتحررها العقدي والفكرى من السيطرة الفرنسية على تاريخها وحضارتها :

(ا) النقطة الأولى هى : « التاريخ الجزائرى » - من وجهة نظر إسلامية عربية جزائرية .

وتدعيا لهذا الاتجاه ، فهى تقيم المؤتمرات فى مدن جزائرية تختلف كل سنة عنها فى الأخرى . . فمرة يعقد الملتقى فى العاصمة ، وثانية فى قسنطينة ، وثالثة فى تيزى وزو ، ورابعة فى بجاية ، وخامسة فى تلمسان ، و . . . فى عنابة . . . وهكذا . . .

وتصبح المدينة المضيئة - بتاريخها وحضارتها - موضوعاً من موضوعات الملتقى . . تخضع للدرس والتحليل .

(ب) والنقطة الثانية هى : « التاريخ الإسلامى » - ولا سيما الدولة العثمانية - وقد نجحت نجاحاً كبيراً فى إنصاف هذه الخلافة ، وإعطائها حقها من المدح والقدح .

وأذكر أن الدكتور زكى نجيب محمود - الفيلسوف الوضعى المعروف والحائز على جائزة الدولة فى مصر - قد صرح لى فى ملتقى تلمسان ١٣٩٥ هـ : بأنه أفاد من هذه الملتقيات فائدة كبيرة فيما يتعلق بإنصاف الدولة العثمانية . . فقد كان هو ككامل المثقفين ثقافة غربية لا يعرف للدولة العثمانية حسنة من الحسنات .

(ج) والنقطة الثالثة التى تركز عليها الملتقيات . . هى إبراز المعانى الحية للقيم الإسلامية . . ففى كل ملتقى تتناول عبادة من العبادات الإسلامية بمنظار جيد ، كأثر الحج فى الحضارة الإسلامية ، أو الآثار السياسية والاجتماعية للصلاة والزكاة والصيام . . . وهلم جرا .

• ومن خصائص هذه المبادرات أيضاً أنها تضع في برنامجها دعوة عدد محدود من الذين لا ينتسبون انتماء كاملاً للفكر الإسلامي الأصيل ، بل تدعو أحياناً بعض المستشرقين .

وهؤلاء في الحقيقة بالنسبة للمجتمع الجزائري الذي عاش الحضارة الأوربية رغم أنه — يكون لهم تأثيرهم في قديم قديم ، ناد الإسلاميين ، وتهيئة الجوار علمي قوي .

وأشهد أن مستوى الحوار الإسلامي يرتفع من عام لعام ، متخلصاً في مسيرته الخطائية والانفعالية والإنشائية . . للدرجة أن ملتقى الفكر الإسلامي الذي عقد « بعنابة » في ١٢ رجب ١٣٩٦ هـ (١٠-٧-١٩٧٦م) كان قوى الدلالة على تفوق الفكر الإسلامي بصورة واضحة .

• ومن الخصائص التي لا يمكن إغفالها كذلك — حضور عدد من طلاب الجامعات والمعاهد العليا ومدرسي المراحل التعليمية — يراوح بين ألف وألف وخمسمائة . وهم يحضرون من مختلف مناطق الجزائر باشتراكات رمزية وتتولى وزارة التعليم الأصلي والشئون الدينية سائر نفقات إقامتهم وسفرهم . وليس لهم حق الاشتراك في المناقشات ، وإنما لهم حق توجيه بعض الأسئلة في وقت محدد ، بالإضافة إلى حضور كل المحاضرات والمناقشات وتسلم المحاضرات . وهم يفيدون من حضور عشرة أيام وسط هذا المستوى الفكري الإسلامي والعلمي الحافل — فائدة كبرى يلمسها الشعب الجزائري كله ، وهو يخوض معركة « الأسلامة » و « التعريب » !!

وفي ضوء هذه الخصائص تتحقق فوائد متعددة ، ولا تقف الفائدة عند حد التوصيات والقرارات والنشرات والمطبوعات .

وحينما أن تفيد المؤسسات الإسلامية من فكرة الملتقيات الجزائرية وأسلوبها — بما يتلاءم مع ظروفها وبيئتها وإمكاناتها .

• • •

وما يقال عن ملتقيات الجزائر ، يقال كذلك عن الفوائد العملية التي تحقّقها المؤتمرات الدورية لاتحاد الطلبة المسلمين في الولايات المتحدة وكندا . . . فهذه المؤتمرات السنوية لا تبحث عن « التوصيات والقرارات » في الدرجة الأولى . وإنما تمثل مؤتمراتها ظرفاً مناسباً لتدعيم الارتباط العقدي والسلوكي بالإسلام وسط بحر المدنية الأوربية المتلاطم الأمواج .

وعلى سبيل المثال ، فإن المؤتمر السنوي الرابع عشر للاتحاد المنعقد في الفترة من ٢٨ إلى ٣١ مايو سنة ١٩٧٦ م - حضره حوالى ١٣٠٠٠ رجل و ٥٠٠ امرأة وحوالى ٤٠٠ طفل - وضعت لهم كافة الترتيبات اللازمة لإقامة الشعائر في أوقاتها ، وتوفير اللحوم الحلال . . . وغير ذلك من مظاهر المناخ الإسلامى . . . وهذا الأسلوب يخرج المؤتمر عن الشكل المعروف للمؤتمرات التقليدية ، ويجعله أشبه بتجمع إسلامى . . . يعيش مناخاً إسلامياً وحياة إسلامية لفترة محددة !! .

أسلوب جديد للمؤتمرات الإسلامية :

إننى أعتبر هذه الدراسة - بجملتها - مشروعاً قابلاً للقبول والرفض والتعديل .

- وهى - كلها - أحكام قد يختلف حولها الكثيرون . . .

- وهى - فى اقتناعى - اقترح بإعادة النظر فى الطريق الذى تسير فيه المؤتمرات الإسلامية . . . مقدم بالدرجة الأولى إلى الجامعات الإسلامية وعلى رأسها جامعة الإمام محمد بن سعود - وهى اقترح مقدم إلى رابطة العالم الإسلامى والندوة العالمية للشباب الإسلامى ، ومنظمة المؤتمر الإسلامى .

- وهى اقترح مقدم إلى مجمع البحوث الإسلامية بمصر ، وإدارة الملتقيات الإسلامية بوزارة التعليم الأسمى بالجزائر ، وببقية المؤسسات المهمة بهذا اللون من النشاط الإسلامى .

ولم أن يتحقق الأمل في أن تخضع المؤتمرات الإسلامية لدراسة وتخطيط
بحق لها التكاملاً - فإني أقدم - إلى جانب ما قدمته في الصفحات السابقة -
مجموعة من التصورات والموضوعات التي أراها جديرة بعناية من أتوجه
إليهم بهذه الدراسة . .

ففي تصوري أن هناك مستويين يجب أن تنسق هذه المؤتمرات على أساسهما:

أولاً : مستوى القضايا المصيرية للأمة الإسلامية .

وفي هذا المستوى . . وانطلاقاً من المسؤولية القيادية للفكر الإسلامي ،
يجب أن تعالج بكل شجاعة ووضوح - تلك القضايا التي يتحدد على أساسها
الدور الذي يمكن أن يحتله هذا العالم الإسلامي في التاريخ والحضارة .

ولسكنى تكون المفاهيم التي أقدمها واضحة ، فإني أقدم نماذج من هذه
القضايا ، لم تعالج - للأسف الشديد - خلال المؤتمرات الإسلامية العديدة
التي عقدت على امتداد الساحة الإسلامية . .

فمن هذه القضايا :

١ - قضية الوحدة الإسلامية :

العقبات التي تحول دون تحقيقها . . مسؤولية الأجهزة الحاكمة . . مسؤولية
الفرد المسلم . . مسؤولية الغزو الفكري والسياسي والاقتصادي والاجتماعي .
الطرق الواقعية لتحقيق هذه الوحدة . . الخ .

٢ - النظام السياسي الإسلامي :

(أ) الحقوق الإنسانية للفرد ولا سيما الحرية .

(ب) حق عزل الحكام .

(ج) قضية الدكتاتورية في العالم الإسلامي ، وضد الإسلام بخاصة .

(د) « ملف » تعذيب الإنسان المسلم في العصر الحديث .

(هـ) طرق حماية المسلم - في المستقبل - من هذه الأنظمة الدكتاتورية
المأجورة .

(و) وطرق حماية المسلم من التصفية الجسدية والإنسانية التي يتعرض
لها خلال هذا القرن . . ! !

٣ - قضية التراث الإسلامي :

طرق بعثه ... الموقف « العقلاني » العصري للإفادة من هذا التراث ،
إمكانية نقد التراث في الأصول والفروع . . القضايا التاريخية في التراث
التي تستحق « التحنيط والتجميد » كبعض قضايا علم الكلام مثلا .

٤ - فكرة القومية وخطرها على الروح الإسلامية والكيان الإسلامي .

٥ - حصر التصورات الخاطئة للإسلام وتأثيرها السلبي على تقدم
العالم الإسلامي .

٦ - قضية الحكم بغير ما أنزل الله في العالم الإسلامي :

أسبابها . . . على من تقع مسئوليتها . واجبات الفرد المسلم تجاه القوانين
الوضعية . كيفية تعايشه « الإجماري أحيانا » معها . . وأسلوب مقاومتها . .
ولإجهاضها .

(وهذه مجرد نماذج تدل على غيرها من القضايا الكبرى المصيرية التي
تحتاج إلى علاج ، في هذا المستوى) .

ثانياً : مستوى المشكلات الإسلامية النوعية :

وفي هذا المستوى يجب الاقتراب قدر الاستطاعة من الواقع المحيط
بالمسلمين ، بدلا من الاستغراق في عنوميات وجدليات نظرية ، بحيث
تقدم مشكلة محدودة ، وتدرس دراسة شاملة ، لينتهي الأمر فيها إلى
مواقف محددة .

- و في النظر التالي، أ طرح بعض هذه الموضوعات التي أراها جديرة
بالدراسة في هذا المستوى .
- ١ - معالم التخطيط الصليبي لالتهم أندونيسيا في نصف قرن وطرق
مقاومته .
 - ٢ - مأساة المسلمين في البلاد الشيوعية ، ولا سيما في روسيا والصين
وواجب المسلمين نحوهم .
 - ٣ - أخطار انبعاث الشباب للدراسة في الخارج ، وطرق حمايتهم .
 - ٤ - خطر استيراد « الأشياء » و « الأفكار » على قضية البناء الحضاري
الذاتي للأمة الإسلامية .
 - ٥ - تقويم أوضاع الأقليات الإسلامية في آسيا ، وسبل الحفاظ عليهم .
 - ٦ - أطماع إسرائيل في شبه الجزيرة العربية !! .
 - ٧ - أخطاء دائرة المعارف الإسلامية ، ومنظمة اليونسكو ، في حق
الإسلام ، فكراً وتاريخاً وحضارة .
 - ٨ - بروز الدور الهندوسي في الهجوم على الإسلام خلال ربع القرن
الأخير ، وطرق مقاومته .
 - ٩ - أساليب الدعوة إلى الإسلام في البلاد الصناعية والمتقدمة .
 - ١٠ - أزمة الفكر الإسلامي الحديث . . . تعبيراً ومضموناً ، وطرق
علاجها .
 - ١١ - برنامج تعليمي للمرأة المسلمة . . يناسب فطرتها ورسالتها .
« المراحل الدراسية - النوعية العلمية - المناهج - الخطة - الأعمال » .
 - ١٢ - أسباب ضياع فلسطين من وجهة نظر إسلامية .
 - ١٣ - مسلمو لبنان . . والمؤامرات العالمية ، والمواقف العربية ، التي
أدت إلى نكبتهم . . . !!

١٤ - التأثير الحضارى للبرول على البلدان الإسلامية إيجاباً وسلباً .
(وثمة - بالتأكيد - قضايا نوعية كثيرة تصلح للعلاج والدراسة فى هذا
المستوى . كما أن بعض القضايا التى طرحناها يمكن أن تعدل صياغتها
بالطريقة الملائمة) .

- بيد أن من الضرورى الربط بين المستويين . . مستوى القضايا الكبرى
ومستوى القضايا النوعية المحددة التى لا تزيد عن كونها مجرد أقراس أو
عقائير ، لا يتفصل « مفعولها » بالتأكيد عن تأثير العلاج الشامل الجندرى
الذى يحققه المستوى الأول .

* * *

إن هذا الأسلوب الذى نقرحه ، بمستوييه سالفى الذكر ، يقدم
بالمؤتمرات الإسلامية - على وجه العموم - من الواقع . ويعطى بحوث هذه
المؤتمرات صفتى : « التجديد » و « التجديد » ، ويجعل هذه المؤتمرات
- فى أقل درجاتها - محركاً قوياً للعقول والأفكار فى اتجاه الأخطار « الواقعية »
المحدقة ، فلعلها تخطط وتعمل لتداركها . . . ومحركاً - أيضاً - فى اتجاه
تحقيق بعض التقدم للأمة الإسلامية التى تعانى - بحق - أزمة حضارية
كبيرة ، وتقف - بحق - على مفترق الطرق . .

والله غالب على أمره ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون . .

محتويات الكتاب

صفحة	الموضوع
٥	قضية هذا الكتاب
١١	الملحمة الأولى : معركة التصفية الجسدية
١٣	الدم الإسلامي أرخص الدماء على الأرض
١٩	أمريكا تطوق العالم الإسلامي
٣١	أفريقيا المسلمة تستغيث
٥٩	الملحمة الثانية : العالم الإسلامي وقضية الحرية
٧٣	الملحمة الثالثة : المترددون في تطبيق الشريعة
٨٥	فتنة اليسار الإسلامي
٩٥	مدرسة عبادة العقل في الفكر الإسلامي
١٠٥	تغريب التربية في العالم الإسلامي
١١٧	الملحمة الرابعة : مصر في مهب العاصفة...
١١٧	شخصية مصر تباع في المزاد
١٣٣	الروتاري الصهيوني ينتشر في مصر
	الملحمة الخامسة : المؤتمرات الإسلامية ومأزق الاستهلاك الإعلامي ،
١٤٣	وطريق جديد

هذا الكتاب

مرت بالمسلمين نكبات ومحن ، وأحاطت بهم شدائد وإحزن ، وألمت بنهم آلام وفتن .. نتيجة طبيعية لبعدهم عن دينهم ، ومخافاتهم لشريعتهم حتى وقعت معظم البلاد الإسلامية فريسة بين مخلى المادية الأمريكية ، والإلحادية الروسية .. فتحول كثير من المسلمين في بلاد الأقليات المسلمة إلى سلعة تباع وتشتري فأصبحت دماؤهم أرخص الدماء ، وأرواحهم دون كل الأرواح . ولأن المسلمين مع اعترافهم بالتقصير ، وتسليمهم بالتفريط ، لا ينسون انتصارات أجدادهم ، وأجداد أسلافهم فقد بدأوا يفيقون .. ليتحولوا من جديد إلى مارد جبار يتصدى لجميع التيارات المعادية ، ويقف بالمرصاد لكل الذى يحاولون وأد نهضته ، وإيقاف مسيرته ، وتعطيل شريعته .

وفي هذه الدراسة يعرض المؤلف الدكتور عبد الحليم عويس بالتحليل في خمس ملاحم رئيسية لكل الظروف المحيطة بالمسلمين .. الملحمة الأولى وعلى رأسها معركة التصفية الجسدية لكل العاملين في الحقل الإسلامى .. والملحمة الثانية وأولها قضية الحرية في البلاد الإسلامية .. والملحمة الثالث ويكشف فيها الغطاء عن زعماء المسلمين المترددين في تطبيق الشريعة الإسلامية .. والملحمة الرابعة وفيها يوضح كيف كانت مصر في مهب العاصفة .. والملحمة الخامسة ويسرد فيها بالتفصيل كيف كانت معظم مؤتمراتنا الإسلامية مجالاً للاستهلاك الإعلامى ، وتعطية لكثير من الأخطاء والمؤامرات .

وهذه الدراسة مهما اختلفت موضوعاتها فهى قضية واحدة .. قضية المسلمين التى برزت من خلال مسيرة الأحداث في الأعوام الأخيرة .. إنها الصراع المصرى فى الغزو التبشيرى الصليبي ، والحصار الماركسى الإلحادى لتطويق العالم الإسلامى ، والاستيلاء على الأرض المقدسة .. بدءاً من المسجد الأقصى ، وانتهاءً بالمسجد الحرام .

دار الصحوة

دار الصحوة

٧ ش السراى بالمنيل - ت : ٩٨٧٩٢٤
حدائق حلوان - ت : ٦٨٨٠٧١
القاهرة